الملامح الجغرافية لمنطقة الحد الشمالي الشرقي لمصر

الباحث

ياسرسيد علي

المستخلص

في هذا البحث تم عرض الملامح الجغرافية لمنطقة الحد من حيث الملامح الجغرافية الطبيعية والملامح الجغرافية البشرية، وذلك للوقوف على العوامل التي ساعدت في تخطيط وتحديد وتعيين الحد الذي كان إداريًا في البداية ثم أضحى سياسيًا فيما بعد. وعليه فقد تم التأكيد على وحدة منطقة الحد الطبيعية من خلال دراسة الموقع الجغرافي والبنية والتركيب الجيولوجي ومظاهر السطح والمناخ وموارد المياه والنبات الطبيعي.

أما ما يتمثل في الملامح البشرية لمنطقة الحد فقد تم تناول القبائل الموجودة بمنطقة الحد وأنها ليست ثابتة بل متحركة متحررة منذ القدم ولا زالت، وأثر ذلك على عملية تعيين الحد، وتم التعرف على الوزن السكاني لتلك القبائل والعقبات التي كانت ولا زالت للتعرف على حجمها السكاني الحقيقي، ثم النشاط الاقتصادي الذي كان يمارسه سكان منطقة الحد وهم في ذلك لا ينفصلون عن نشاط معظم سكان شبه الجزيرة أو صحراء النقب وما جاورها من صحراء مدين.

Abstract

In this study, the geographical features of the minimum geographical features and geographical features were presented to identify the factors that helped to plan, determine and define the boundary that was initially administrative and subsequently became political. The study presented the geological location, geological structure, surface features, and the identification of a climate that can be separated from the surrounding area and its impact on the water resources that are available.

And about the human features I acted with the tribes of the boundary area and it's mobility since along ages, and the height of the tribal population and the obstacles which make this is impossible, also we deal with the economic activity, experienced by the population of Sinai in general and the area of boundary.

في هذا البحث سوف يتم تناول ملامح منطقة الحد الشمالي الشرقي الجغرافية، وذلك من خلال دراسة؛ أولاً لملامح وخصائص منطقة الحد الطبيعية ممثلة في التعرف على موقع منطقة الحد، ومظاهر السطح وبنية منطقة الحد، وموارد منطقة الحد المائية ومصادرها، ثم أنهي بدراسة التربة والنبات الطبيعية بمنطقة الحد وما يتوافر بها من حيوانات برية كذلك، ثم يلي ذلك دراسة ملامح منطقة الحد البشرية وذلك من خلال دراسة القبائل المنتشرة بمنطقة الحد، وحركة القبائل بمنطقة الحد، والوزن السكاني لتلك القبائل، والنشاط الاقتصادي الذي تمارسه تلك القبائل بمنطقة الحد.

أولاً: الملامح الجغرافية الطبيعية لمنطقة الحد:

تعد الملامح الجغرافية لأي منطقة أو إقليم هي النافذة ومفتاح الولوج للتعرف على الخصائص البشرية لتلك المنطقة أو الإقليم. ومن ثم فإن الجغرافية الطبيعية لأي منطقة هي بمثابة Master Key المفتاح الرئيسي المحدد لملامح وخصائص الجغرافية البشرية لتلك المنطقة أو ذلك الإقليم، أو هي المسرح التي تدور عليه الأحداث والظواهر البشرية.

وفي دراسة منطقة الحد الجغرافية الطبيعية سوف نتاول كل من موقع الحد، ومظاهر سطح وتضاريس منطقة الحد، وموارد المياه ومصادرها، والتربة والنبات الطبيعي بمنطقة الحد.

١- الموقع:

موقع منطقة الحد لا ينفصل بالطبع عن موقع المنطقة المحيطة به، فهو جزء من شبه جزيرة سيناء وكذلك من صحراء النقب المجاورة له فلكيًا وجغرافياً.

- **الموقع الفلكي:**

أما فلكياً فإن منطقة الحدود تقع بين درجتي عرض ٤٩ ١٧ ٣١ شمالاً عند رفح على ساحل البحر المتوسط و ١٦ ٢٩ ٢٩ شمالاً عند رأس طابا على الساحل

الغربي لخليج العقبة[١]. ومن ثم فإن منطقة الحدود تمتد تقريباً على طول درجتي عرض، في نطاق صحراوي وجزء من إقليم الصحراء الكبرى في أفريقيا وامتداده في شبه الجزيرة العربية وبادية الشام، الأمر الذي ظهر أثره على مناخ المنطقة بعناصره المختلفة.

- **الموقع الجغرافي:**

لا مندوحة في أن شبه جزيرة سيناء هي واسطة العقد بين قارتي أفريقيا وآسيا، ولكن يظل السؤال أو التساؤل، إلى أيهما تنتمي؟ ومن ثم فإن منطقة الحد تظل معلقة مع الإجابة على هذا التساؤل.

قد يكون للأسماء التي أطلقت على شبه جزيرة سيناء دوراً في هذا التداخل والتضارب، فقد كانت شبه جزيرة سيناء تعرف باسم مجان، وعلى ما يبدو الاسم تحريف لاسم مدين، الذي كانت تعرف به المنطقة شمال الحجاز وجنوب فلسطين، وهي البلاد التي عرفت عند المؤرخين اليونانيين باسم "إرابيا بترا" أو العربية الصخرية. كما قد يكون غالبية سكانها ذو الأصول السامية كسكان الجزيرة العربية وسوريا [٢]، دليلاً آخراً على ذلك التضارب والتداخل المعرفي.

والحقيقة أن الرغبة في فصل شبه جزيرة سيناء عن وطنها الأم، والتشكيك في مصريتها، كان وراء هذا التساؤل الخبيث سياسياً وإمبريالياً، وكان استخدام الأساليب الأكاديمية لتضفي بريق على هذا الأمر، أمراً لا غرابة فيه، وهو أمراً معتاد ولا زال مستخدماً. وكان لوقوعها بين ذراعي البحر الأحمر، ووجود بعض البحيرات التي كانت تملأ منطقة البرزخ، فيما تحتله قناة السويس الآن، أن سعى البعض إلى تأكيد إنفصالها عن الجسد المصري. فذهب لوران إلى التأكيد على أن شبه جزيرة سيناء

---

(١) محمد إبراهيم الديب، حدود فلسطين، دراسة تحليلية لوثائق الإنتداب، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٣٧.

(٢) نعوم شقير، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧، ص ص ٣٤-٣٥.

تكمل شبه الجزيرة العربية، التي تربطها بها كل خصائصها الجيولوجية، فخليج العقبة، الذي يحفها من الشرق، هو الاستمرار لإنكسار وادي الأردن الفلسطيني الكبير، ولا يختلف على الجملة عن البحر الميت، المماثل تحت أبعاد مصغرة، إلا أنه يتصل بمياه مفتوحة "مياه البحر الأحمر" (١).

ويحاجج هذا المنهج دارسي شبه جزيرة سيناء، فهم يأكدون على أنها تجمع فيها بين خصائص كل من الصحراء الشرقية والصحراء الغربية، فهضبة التيه ككويستا ضخمة تناظر كويستات الصحراء الغربية وكذلك سهولها الشمالية بكثبانها تشبه كثيرا مناطق انتشار الكثبان بالصحراء الغربية، كما أن جبال سيناء الجنوبية تشبه إلى حد كبير جبال البحر الأحمر بالصحراء الشرقية ووجود شبكات تصريف مائي تتميز بكثافتها وشدة انحدارها(٢).

والخطأ في إتباع سيناء جيولوجيا أو جغرافيا أو طبيعياً للجزيرة العربية دون مصر إنما ينبع من إنكسار في الرؤية العلمية مثلما يذكر "بخداع أرسطو" فمصر والجزيرة كلتاهما نظائر جيولوجية على ضلعي الأخدود الإفريقي بعد أن كانتا أصلا وحدة جيولوجية واحدة في الكتلة العربية النوبية الصلبة. وسيناء في هذا هي العقدة الجيولوجية مثلما هي العقدة الجغرافية بين الجانبين، إلا إنها الأقرب جيولوجيا إلى صحراء مصر الشرقية مثلما هي أدخل جغرافياً في مصر الأم عموماً(٣).

وبناءاً على ذلك فإن منطقة الحدود التي يمتد فيها خط الحدود البالغ طوله ١٥٠ميلاً تقريباً أي نحو ٢٤٠ كم، تمتد في أراضي ذات ملامح جغرافية طبيعية واحدة، فلا يوجد فاصل حقيقي بين صحراء شبه جزيرة سيناء وصحراء النقب، ولو

(١) جمال حمدان، شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٤، جـ ١، ص ص ٥٥٠-٥٥١.

(٢) محمد صبري محسوب، جغرافية الصحاري المصرية، الجوانب الطبيعية، الجزء الأول، شبه جزيرة سيناء، دار النهضة العربية، ١٩٨٩، ص ص ٤٢-٤٣.

(٣) جمال حمدان، مرجع سابق، جـ ١، ص ٥٥٢.

شئت الدقة فإن صحراء النقب أدخل إلى ملامح جغرافية مصر الطبيعية وشبه جزيرة سيناء، ويكاد يكون منطقة الأخدود الإفريقي العظيم وامتدادها من خليج العقبة شمالاً إلى منطقة البحر الميت، هي الفاصل الجيولوجي والطبيعية الحقيقي بين مصر وما جاورها من أقاليم جغرافية. (شكل رقم ١)

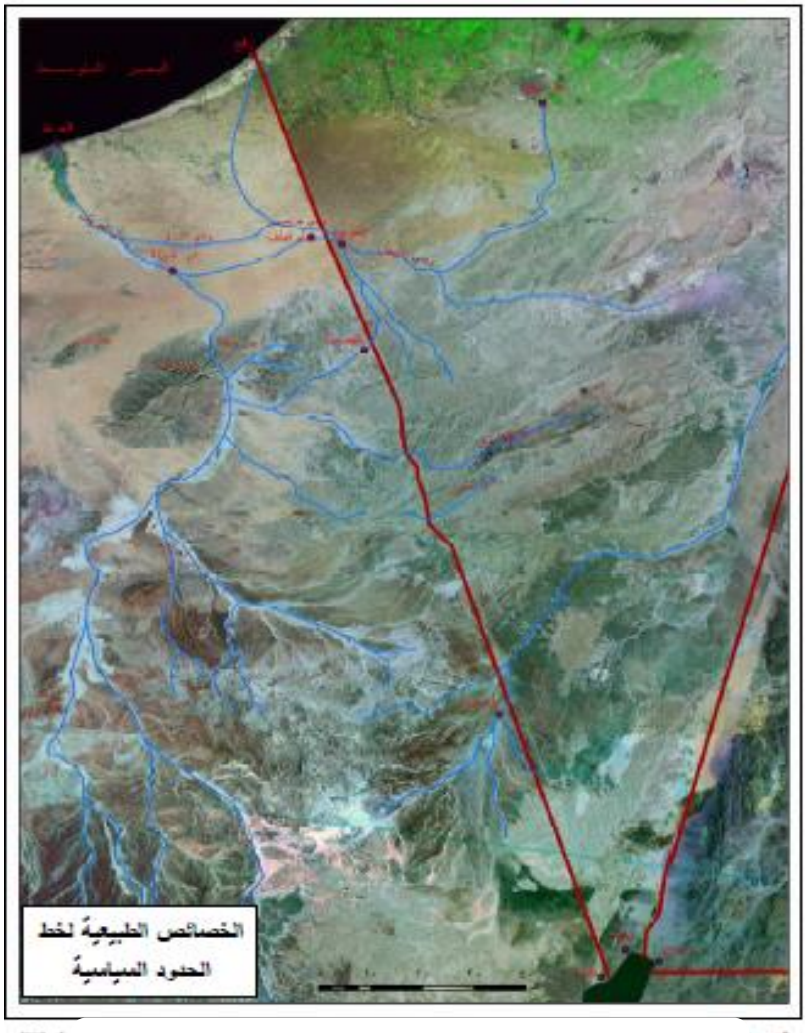

المصدر: اسامة عبد الحميد نقلا عن وكالة ناسا الأمريكية

شكل رقم (١)

الخصائص الطبيعية لمنطقة الحد السياسى

وقد أضاف الموقع الجغرافي لمنطقة الحد الكثير من الجوانب الاستراتيجية والسياسية والعسكرية، ففي الطرف الجنوبي لمنطقة الحد تقترب حدود ثلاث دول، دولتين عربيتين هما الأردن ومصر وبينهما دولة عبرية. وهذا الاقتراب يضاعف من الأهمية الاستراتيجة والسياسية والعسكرية لمنطقة الحد في هذه النقطة، خاصة وأن السعودية تقع على مرمى البصر من حدود الدول الثلاث أيضاً، ومن ثم يمكن الحديث عن حدود أربع دول يجمعهم رأس خليج العقبة تقريباً.

كذلك فإن الطرف الشمالي لمنطقة الحد قد زادت مشاكله السياسية منذ إعلان الكيان الصهيوني خروجه من قطاع غزة، وإجراء الإنتخابات التشريعية في القطاع وكانت نتيجتها أن أصبحت الحكومة القائمة في قطاع غزة تتبع حركة المقاومة الفلسطينية حماس، وهي كانت ولا زالت تمثل حركة من حركات التحرر والنضال القومي والوطني ضد المستعمر اليهودي، ولا زال ينظر إليها البعض على أنها حركة إرهابية، وزاد من تأزم الموقف السياسي التغيرات السياسية والاستراتيجية التي انتابت المنطقة بأسرها.

٢- البنية ومظاهر السطح

منطقة الحد جزء من بنية وتركيب شبه جزيرة سيناء، وهي في ذلك جزء من الثلاثية التي تظهر بها سيناء على الخريطة، فسيناء ثلاثة في مثلث، كتلة جبلية، هضبية، سهلية [١].

ومنطقة الحد تظهر بها التكوينات الجيولوجية العادية التي تتكون منها شبه جزيرة سيناء، فالصخور البلورية المعقدة والتي هي أقدم أنواع الصخور المكشوفة فوق سطح الأرض، تظهر في صورة ضهر جنوب خط عرض ٢٩ تعرضت للتصدع والنحت وتتميز بالتضرس والتقطع، ومن أهم صخورها الجرانيت والديوريت، والصخور المتحولة، وأهم صخورها الشست والنايس، وتمتد الصخور المتحولة بين درجتي

(١) جمال حمدان، مرجع سابق، جـ١، ص ٥٦٠.

عرض ٢٨,٣٦ إلى ٢٩ شمالاً. ثم تأتي الصخور الرسوبية وتظهر تلك الصخور إما متماسكة ممثلة في الحجر الرملي والحجر الجيري، ويعتبر الحجر الرملي النوبي أبرز أنواع تلك الصخور الرسوبية، وهو خزان جوفي بإمتياز في شبه الجزيرة[١].

وتأتي منطقة الضهر القديم، التي تتكون من الكتلة العربية النوبية، لتظهر في الطرف الجنوبي من منطقة الحد، حيث تشرف بمرتفعاتها وتضرسها ووعورتها الشديدة على منطقة طابا ونقب العقبة، أما منطقة الرفرف الثابت المكونة من الحجر الجيري والطباشيري، فتظهر في هضبة التيه كهورست تقطعة الصدوع، مثل صدع الشيخ عطية، ويمتد عبر جزئه الشمالي وادي وتير وإلى الجنوب منه رافده وادي العين، ويحيط به مجموعة من الصدوع الدرجية، وإلى الشمال منطقة الطيات الخفيفة، ثم منطقة الصدوع، المنطقة المفصلية، حيث تكثر الصدوع كبيرة الحجم والتي تتجه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وتنتشر بها بعض الطيات مثل طية المحمرة، طية عرايف الناقة، طية الجيفة، وأكثر المناطق تصدعاً تمتد من عرايف الناقة إلى المنشرح، وإلى الشمال منطقة نطاق القباب، ثم منطقة ساحل البحر المتوسط، ويذهب البعض إلى كونها تمثل امتداد لدلتا نهر النيل، الذي كان يمتد شرقاً ليشمل القطاع الساحلي فيما بين رفح وغزة[٢].

تضاريسياً تنقسم منطقة الحد إلى إقليمين فيزيوغرافيين، وهي بذلك تحتل قسمين من أقسام شبه الجزيرة التضاريسية الثلاث الممثلة في السهول في الشمال، والهضبة في الوسط، والجبال في الجنوب [٣].

ويتحدد النطاق السهلي بخط الساحل في الشمال وخط كنتور ٥٠٠ متر في الجنوب، ويقسم هذا القسم إلى أربعة أقسام فرعية؛ خط الشاطئ، السهول الساحلية

---

(١) محمد صبري محسوب، مرجع سابق، ص ص ١٢-٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٢٦-٣٤.

(٣) جمال حمدان، مرجع سابق، جـ١، ص ص ٥٦٠ - ٥٦٢.

فيما بين خط الشاطئ وخط كنتور ٢٠٠ متر، ونطاق التلال القبابية، والسهول الداخلية المحصورة بين منسوبي ٢٠٠ و ٥٠٠ متر[١]. أنظر الشكل (رقم ٢).

خط الشاطئ، يتميز الساحل الشمالي لسيناء بانخفاضه وقلة انحداره، ويبدأ من خط الشاطئ من رفح متجهاً غرباً وجنوباً بغرب، ويتميز بانبساطه وتدرجه وعدم وجود مرتفعات بارزة بامتداده، وتختفي منه الرؤوس البحرية المتوغلة في البحر، كما لا توجد جزراً أمام الساحل، وتتميز مياهه بضحولتها فخط العمق ٢٠٠ م يبعد عن مدينة رفح بنحو ٣٨ كم وخط عمق ٥٠٠ متر يبعد عنها بنحو ٤٥ كم[٢].

ثم يأتي **نطاق السهول** من خط الساحل وخط ٢٠٠ متر، وهي تعد امتداد لصحراء شرق الدلتا، وتمتد حتى تندغم بلا إنقطاع في سهول جنوب فلسطين الساحلية، وابرز معالم السهل الساحلي هنا "الجفار" وهي نطاق الكثبان الرملية، كذلك المشاش وهي عبارة عن البرك والمستنقعات المسطحة الضحلة[٣].

ثم **إقليم القباب**، وتتراوح أرضيته بين ٢٠٠-٥٠٠متر، وتبرز بعض جزره الجبلية لترتفع إلى ما بين ٥٠٠-١٠٠٠ متر، وهناك جبل أم قف فقارة أم بسيس على خط الحدود، وإلى الجنوب قليلاً تأتي جبال الوجير، والأبيض، فجبل العمرو، والصبحة، وهو على الحدود، وإلى الجنوب أكثر إلى الداخل قليلاً يظهر جبل أم خريبة فالقصيمة[٤].

و**القسم الرابع** وهو قسم السهول الداخلية، فهو نطاق الإنكسارات، وتقطعة العديد من الأودية التي تجري نحو وادي العريش، مع بعض الجبال التي تعطيه طابع الإرتفاع، فعلى امتداد منطقة الحدود من الجنوب للشمال جبل الأحيجبة ٦٥٨م، وجبل

(١) محمد صبري محسوب، مرجع سابق، ص ص ٤٣-٤٤.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٤٤-٤٥.

(٣) جمال حمدان، مرجع سابق، ج١، ص ٥٦٧.

(٤) أنظر المرجع السابق، ج ١، ص ص ٥٦٧-٥٦٩، ومحمد صبري محسوب، مرجع سابق، ص ص ٤٩-٥٦.

أم حلوف ٦٤٢م، ثم جبل عريف الناقة ٩٣٤متر، وهو أعلاها وأكبرها أيضا حيث يمتد بطول ٧كم وعرض ٤كم، كما أنه جيولوجيا أهمها نتيجة لظهور تكوينات الترياسي على السح، والحجر الرملي والمارل والحجر الجيري به[١].

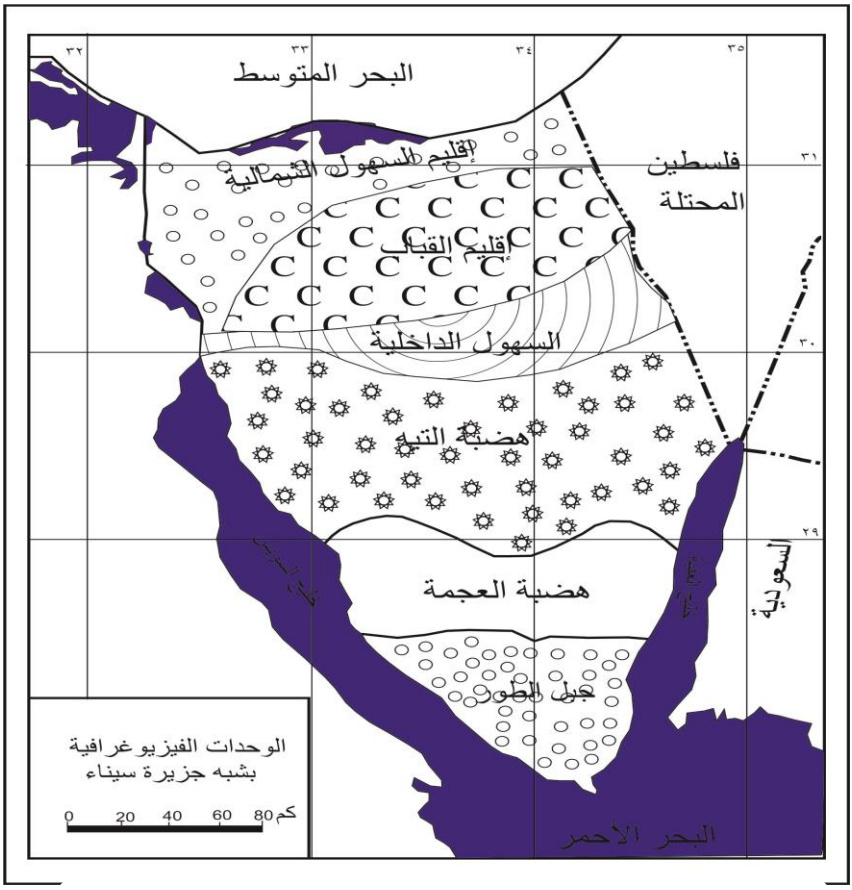

المصدر: محمد صبري محسوب، جغرافية الصحاري المصرية .

شكل رقم (٢)
الأقسام الفيزيوغرافية لمنطقة الحد وشبه جزيرة سيناء

(١) جمال حمدان، مرجع سابق، جـ١، ص ص ٥٧٠ – ٥٧٥، ومحمد صبري محسوب، مرجع سابق، ص ص ٥٦–٥٨.

وفي الجانب الآخر من الحد عدة جبال وجبل رأس الرامان يعتبر أعلى قمة في هذه الجبال إذ يبلغ ارتفاعه ١٠٣٥متر، ومن جبالها أيضاً "جبل المقراة" ومعظم جبل المقراة واقع في فلسطين ويدخل منه في حدود سيناء قسم يعرف بجبل "خُراشة" بالقرب من عيون وادي قديس، ومن ذرى جبال منطقة الحدود في الجانب الفلسطيني "جبل سماوي ١٠٠٦متر" ويقع للجنوب من جبل المقراة، وجبل اللُسَّان ٩٥٧متر، وجبل المغارة ٩٢٦متر، ورأس صرابيط ٨٩٢متر، والجبل الطويل ٨٦٣متر، وجبل أم سعيد ٨١٧متر، وجبل أم حواويط وأم طيران بالقرب من العوجاء[١].

ثم يأتي القسم **الفيزيوغرافي الثاني** والذي يتمثل في إقليم الهضاب، والهضبة هنا تنقسم إلى قسمين؛ هضبة التيه في الشمال وهضبة العجمة في الجنوب، ويلاحظ أن منطقة الحد تظهر فقط على طول امتداد منطقة هضبة التيه. وتنحصر بين خطي كنتور ٥٠٠-١٠٠٠م، وبين درجتي عرض ٢٩ ٢٩،٣٠، وتظهر الإنكسارات في الجانب الشرقي من هضبة التيه بمنطقة الحد، في جبل الحمرة شمال غرب راس النقب مباشرة، وبالقرب من رأس خليج العقبة. وتشرف الحافة الشرقية لهضبة التيه، بحكم الموقع، على وادي عربة أكثر مما تشرف على خليج العقبة، وتظهر بعض الجبال على الجانب الشرقي من الهضبة مثل جبل سويقة ٧٤٠م، وجبل الحمرا ٩١٣م، ويشرف على الحدود شمال النقب، وجبل سويقه ٧٤٠م جنوب الكنتلا، ونطاق الصرف في الجانب الشرقي لهضبة التيه ومنطقة الحد صرف داخلي، حيث تنصرف الأودية إلى البحر الميت عبر رافد وادي عربة وهو وادي الجرافي الذي يبدأ جنوب ختم الطارف، وهناك وادي طابا وطويبة وقرية وهي أودية قزمية إلى الجنوب مباشرة من رأس خليج العقبة[٢].

---

(١) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الأول، القسم الأول، دار الهدى، طبعة جديدة، ١٩٩١، ص ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) جمال حمدان، مرجع سابق، ج١، ص ص ٥٨٣ - ٥٩٠.

وقد لعبت بنية ومظاهر سطح منطقة الحد دوراً كبيراً في تحديد وتخطيط الحد السياسي، من خلال اتخاذ الكثير من قمم الجبال كمعالم ونقاط لتعليم منطقة الحد، كما سهلت، كونها علامات ظاهرة، عمل الفريق القائم بمهمة تخطيط الحد، فبعض النقاط مثل النقطة رقم ٩ التي كانت على جبل خروف لم يستطيعوا رؤيتها بعد تقدمهم شمالاً فما كان منهم أن عينوا نقطة رقم ٩ مكرر، وكذلك نقطة ١٠ مكرر عند عين الجديرات.

كذلك حددت مظاهر سطح منطقة الحد المداخل والمخارج شرقاً وغربًا، فكانت المنطقة الوسطى والجنوبية من منطقة الحد الأصعب في الإختراق، نظراً لطبيعتها الجغرافية الوعرة المضرسة المقطعة بشدة، ذات القمم الجبلية العالية، في حين كانت منطقة القسم الشمالي هي الأبرز وهي المدخل والمخرج الرئيسي لسيناء.

وللتأكيد على أن الحد السياسي هو حد قاطع لوحدة فيزيوغرافية واحدة، وامتداد طبيعي وجغرافي واحد، تلك الإمتدادات الجبلية على طول منطقة الحد، وتقسيم الكتلة الجبلية الواحدة إلى قسمين، في فلسطين ومصر، كما هو مشاهد في جبل المقراة الذي يمتد من جبل عريف الناقة غرباً نحو الأراضي الفلسطينية شرقاً، وجبل المغارة، وجبل سماوي، وجبل خروف، وذلك في الوسط، وهناك في الشمال جبل أم حواويط وفي الجنوب جبل أم قف. (أنظر الشكل رقم ٣)

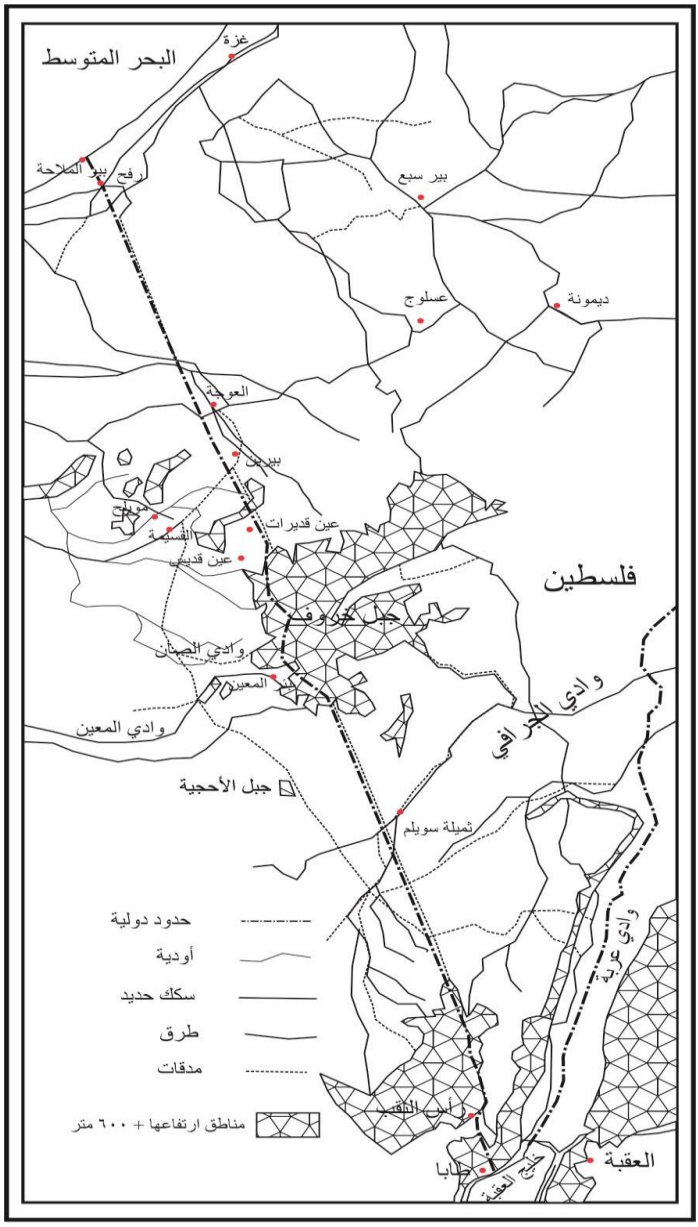

شكل رقم (٣)
الوحدة الفيزوغرافية لمنطقة الحد

٣- المناخ:

انعكس الموقع الفلكي على عناصر مناخ منطقة الحد من حرارة وضغط ورياح وأمطار. ومنطقة الحد تقع في إطار المناخ المصري، الذي يمتاز عموماً بثلاث خصائص قوية: الإنتقالية، القارية، الاطراد، بعبارة جامعة؛ مناخنا انتقالي في جوهره، إلا أنه قاري أساسًا(١).

والحقيقة إن شبه جزيرة سيناء تعاني من نقص في محطات الأرصاد الجوية، فهي قليلة إلى جانب أن أغلبها ذات موقع هامشي، وتتمثل في محطة العريش في الشمال الشرقي قرب الساحل المتوسطي، ومحطة الطور قرب خليج السويس، وبعض المحطات الثانوية في نخل وأبو رديس وشرم الشيخ وبير الحسنة والكنتلا والرفح والقسيمة ومرصد كرنجي قرب جبل سيدنا موسى جنوبي سيناء(٢). والأمر لا يتوقف على ذلك، بل إن البيانات المتوافرة عن تلك المحطات ليست حديثة وغير ممتدة لفترات زمنية طويلة، الأمر الذي يجعل الإعتماد عليها في دراسة مناخ المنطقة أمر يشوبه عدم الدقة وتقل في المصداقية. فالبيانات المناخية لمنطقة شرم الشيخ تقتصر على عام ١٩٥٥ والبيانات الخاصة بمنطقة نخل تقتصر على الفترة الممتدة ما بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٧ وبيانات بئر الحسنة تمتد بين ١٩٣٨ و ١٩٦٠، والكنتلا تمتد بين ١٩٤٤-١٩٦٠(٣).

ويعد شهر أغسطس هو أكثر شهور السنة حرارة في منطقة الحد حيث يبلغ متوسط درجة الحرارة في مدينة العريش ٢٦,٤ درجة مئوية، في حين يصل إلى ٢٦,٥ في مدينة غزة، أما شهر يناير فهو أكثر شهور السنة برودة في منطقة الحد، حيث يبلغ متوسط درجة الحرارة إلى ١٣,٨ درجة في العريش(٤). ومن خلال ذلك فإن

(١) جمال حمدان، مرجع سابق، جـ٢،ص٢٢ .

(٢) محمد صبري محسوب، مرجع سابق، ص ٨١ .

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة، وطارق زكريا، مرجع سابق، ص ٣١٥.

(٤) محمد صبري محسوب، مرجع سابق، ص ٨٥.

المدى الحراري لدرجات الحرارة بين الصيف والشتاء يصل إلى ١٢,٥ درجة تقريباً. وتتراوح خطوط الحرارة المتساوية لمنطقة الحد في شهر يناير بين ١٢ درجة مئوية في أقصى الشمال و ١٠ درجة مئوية في الوسط والجنوب، أما خطوط الحرارية المتساوية لمنطقة الحد في شهر يوليو فيكاد يكون خط الحرارة ٢٦ درجة مئوية هو الممثل لمتوسط درجة الحرارة لمنطقة الحد في شهر يوليو(١).

وعلى الجانب المقابل لمنطقة الحد وهي منطقة صحراء النقب (قضاء النقب) فإن المناخ لا يختلف كثيراً عما سبق، فهو مناخ حارف جاف صيفاً، تتراوح فيه متوسط درجة الحرارة في الصيف بين ١٧–١٨ درجة مئوية، أما الشتاء فهو بارد نوعاً وتتراوح فيه متوسط درجة الحرارة بين ١٣–١٦ درجة مئوية. (٢)

وتستفيد منطقة الحد الشمالي من تأثير البحر عليها، حيث تعتدل درجات حرارتها على مدى العام، ويعتدل مداها الحراري ليصل إلى ٩ درجات مئوية تقريباً، في حين أن تأثير البحر هذا ينعدم في المناطق الداخلية مثل الحال في بئر الحسنة والكنتلا، كونها مناطق داخلية مكشوفة(٣).

وتتعرض شبه جزيرة سيناء، ومنطقة الحد، للأعاصير والإنخفاضات الجوية في فصلي الشتاء والربيع وأوائل فصل الصيف، وهي عادة ما تتحرك من الغرب إلى الشرق بموازاة ساحل البحر المتوسط، وأهم أنواع الرياح التي تهب على سيناء، ومنطقة الحد، الرياح الشمالية والشمالية الغربية، وأحياناً ما تكون ممطرة وذلك بسبب تولد منخفض جوي فوق جزيرة قبرص شرقي البحر المتوسط(٤).

ومنطقة الحد جزء من العقدية المناخية التي تتميز بها شبه جزيرة سيناء، فسيناء هي ركن الزاوية أو الزاوية الركن في إطار الرطوبة الساحلية الخفيفة على

---

(١) جمال حمدان، مرجع سابق، جـ ٢، ص ٤١.

(٢) مصطفى مراد الدباغ، مرجع سابق، ج١، ق ١، ص ١٢٤.

(٣) محمد صبري محسوب، مرجع سابق، ص ٨٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٩٨.

ضلعي مصر البحريين، وفيها تجتمع الرياح الشرقية بأمطارها العاصفية الربيعية مع فلول الغربيات العكسية بأعاصيرها الشتوية، ولهذا يضطرب جو سيناء بشدة في الخريف والربيع، هذا إلى جانب أمطارها الشتوية، ومن ثم تتميز سيناء بقمتين مطيرتين في الخريف والشتاء. وشريط الساحل هو الأغزر مطراً، خاصة كلما اتجهنا شرقاً وتتضاءل الأمطار بالإتجاه من الشمال إلى الجنوب ويعود ليزداد في أقصى الجنوب بحكم التصعيد الأوروجرافي تاركاً الوسط كأشد أجزاء سيناء جفافاً[١].

وتبلغ كمية الأمطار المتساقطة على العريش طول العام ٨ , ٩٦ مم وفي رفح ٣٠٥مم وفي غزة على الجانب الآخر من الحدود ٣٥٠مم وعند القسيمة تصل كمية الأمطار ٩٧,١ مم[٢]، ويعد شهر ديسمبر هو أعلى شهور السنة تسجيلاً لكميات المطر، حيث يبلغ متوسطه في العريش ٢٢,٣ مم، و ٩١ مم في رفح، و ٢٢,٢ مم في القصيمة، ٢٢,١ مم في رأس النقب، في حين يأتي شهر يناير كأغزر شهور السنة مطراً بالنسبة للكنتلا[٣].

وطبقاً لمعامل ديمارتون للأقاليم المناخية والنباتية، فإن سيناء تقع ضمن الأقاليم الصحراوية الجافة، حيث أن القيمة الفعلية لمعامل المطر فيها يقل عن ٥، وتعد رفح هي الأقرب إلى صفة المناخ الرطب نسبياً حيث يزيد قيمة المعادل فيها عن ١٠[٤].

وشهور المطر في منطقة الحد هي شهور المطر في سيناء وهي أشهر نوفمبر وديسمبر ويناير وفبراير، أما شهور أكتوبر ومارس وأبريل فهي شهور انتقالية،

---

(١) جمال حمدان، مرجع سابق، جـ١، ص ص ٥٤٨-٥٤٩.

(٢) محمد صبري محسوب، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٣) طارق زكريا إبراهيم سالم، الأمطار والسيول على سيناء وساحل البحر الأحمر، المجلة الجغرافية العربية، العدد ٤١، السنة ٣٥، الجزء الأول، ٢٠٠٣ ص٣١٢.

(٤) محمد صبري محسوب، مرجع سابق، ص ص ١٢٠-١٢١.

أما باقي الشهور فهي جافة[١]، ومن ثم تستحوذ أشهر الشتاء على أكبر كمية مطر من المجموع السنوي، كما يظهر في الجدول رقم (١).

جدول رقم (١) كمية المطر ونسبها في محطات منطقة الحد

اسم المحطة	إجمالي التساقط	في الشتاء		في الربيع		في الخريف	
		كمية المطر	نسبة المطر%	كمية المطر	نسبة المطر%	كمية المطر	نسبة المطر%
رفح	٣٠٤,٥	١٥٩,٢	٥٢,٢٨	٤٩	١٦	٩٦,٣	٣١,٦
الكنتلا	٢٧	١٤,٧	٥٤,٤٤	٧,٧	٢٨,٥١	٤,٦	١٧,٠٠
نخل	٣٨,٢	٢٢,١	٥٧,٨٠	٤,٧	١٢,٣	١١,٤	٢٩,٨
رأس النقب	٢٨,٨	١٤,١	٤٨,٢٠	٦	٢٠,٥	٨,٧	٢٩,٨
القصيمة	٩٧,١	٦٦	٦٨,٠٠	١٢,٩	١٣,٣	١٨,٢	١٨,٧

المصدر: الجدول من عمل الطالب اعتماداً على طارق زكريا إبراهيم سالم.

ويلاحظ من تلك البيانات مدى التفاوت الكبير والواضح بين رفح وباقي المحطات، ويرجع ذلك لموقع رفح الفلكي، حيث تقع إلى الشمال، وحيث شريط الساحل هو الأغزر مطراً، خاصة كلما اتجهنا شرقاً كما تسيطر المنخفضات الجوية على شمال سيناء، وحدوث حالات عدم استقرار في طبقات الجو العليا والعواصف الرعدية[٢].

كما تصل كمية الأمطار في نخل ورأس النقب في الخريف لقرابة ٣٠% أو ثلث كمية الأمطار المتساقطة طول العام، وذلك لقربهما من المنطقة الجبلية بجنوب سيناء، فتكون عرضة للعواصف الرعدية الناتجة عن تحرك المنخفض السوداني الموسمي تجاه الشمال، وحدوث حالات عدم الاستقرار في طبقات الجو العليا، فتسقط الامطار بكميات كبيرة وفجائية يعقبها ظاهرة السيول المدمرة في بعض الأحيان[٣].

---

(١) طارق زكريا إبراهيم سالم، مرجع سابق، ص٣١٤.

(٢) جمال حمدان، مرجع سابق، ج١، ص ٥٤٨، طارق زكريا إبراهيم، مرجع سابق ص٣١٤.

(٣) طارق زكريا إبراهيم سالم، مرجع سابق، ص٣١٤.

أما عن خصائص الأمطار لمنطقة الحد فإن متوسط الأيام الممطرة في السنة بالنسبة لرفح تصل إلى ٤١ يوم، والكنتلا ونِخِل ٥ أيام، أما أكبر كمية مطر فتصل في رفح إلى ٢٨٩مم، في حين إنها غير معروفة في كل من الكنتلا ونخل، لعدم توافر البيانات والإحصائيات، ويصل أقصى كمية مطر يومي في رفح إلى ٤٩,٢ مم وفي كل من الكنتلا ونخل ٣٢ مم، ويصل مجموع المطر السنوي إلى ٣٠٤,٥مم في رفح، و ٢٧مم في الكنتلا و ٣٨,٢ مم في نخل[١].

٤- موارد المياه ومصادرها

الأمطار هي المصدر الرئيسي لمياه منطقة الحد، ناهيك عن شبه جزيرة سيناء جميعها، ويقوم سكان سيناء بتجميع تلك المياه أمام السدود وتخزينها لحاجات الشرب والزراعة، أو باستخدام ما يتسرب من مياه الامطار إلى باطن الأرض، حيث تحتفظ به طبقات الخراسان النوبي.

وبكل المقاييس المناخية بالطبع، فإن سيناء، وبداخلها منطقة الحدود، منطقة صحراوية أو شبه صحراوية على أفضل الأحوال، فالأمطار قليلة نادرة، تتخلف أحياناً وأحياناً تتحول إلى سيول فجائية عنيفة، ويتراوح المطر فيها بين ٦ بوصات في الشمال ، ٢-٣ بوصة في الجنوب. وشريط الساحل أغزر مطراً، خاصة كلما اتجهنا شرقاً بحكم وضعيات محور الساحل المتغيرة بالنسبة إلى الرياح الشمالية الغربية[٢].

كما أن للتبخر دوره في الحد من أثر الأمطار، وتبلغ طاقة التبخر أقصاها في المناطق الداخلية من سيناء بسبب الظروف القارية، ففي العريش تصل طاقة التبخر في شهر ديسمبر نحو ٣,٣ ملم وتصل لأقصاها في شهر يونيو ٤,٩ ملم في حين أن

(١) المرجع السابق، ص٣١٥.

(٢) جمال حمدان، مرجع سابق، جـ١، ص ٥٤٨.

طاقة التبخر في القسيمة تصل إلى ٥,٢ ملم وتصل لأقصاها في شهر يونيو ١٣,٥ ملم ، بمتوسط يصل إلى ٤,٥ ملم في العريش و ٩ ملم في القسيمة(١).

وإن عوض تركز المطر في ساعات قليلة عامل التبخر الذي يضيع معه جزء كبير من كمية المطر المتساقط، فيزيد من فاعلية المطر، وتعد كافية لتغطية الفاقد بالتبخر وتشرب التربة ويفيض الباقي على السطح ويجد طريقة إلى الأودية في نهاية الأمر مكوناً سيولاً جارفة(٢).

ويعد الماء، ماء المطر بأوديته والينابيع، والماء الباطني بآباره والعيون، ضابط الحياة الأولى في سيناء، ناهيك عن منطقة الحد، وعوامله الأولية تلك، أي الأودية أولا والآبار ثانياً، هي ضوابط توزيعها الحاكمة(٣).

وقد كانت موارد المياه ومصادرها بمنطقة الحد، أحد العوامل التي ساهمت في وصول خط الحد السياسي على ما هو عليه الآن، حيث آثرت بريطانيا، المفاوض المباشر عن مصر، على أن تحصل على ما تريده من مصادر مياه موجودة على طول امتداد خط الحدود مقابل التنازل عن بعض الأراضي لتركيا ممثلة في أرض الرشراش في الجنوب لكي تعطي شقة أرضية كافية لتأمين مدينة وميناء العقبة.

فاتفق الطرفان على أن يبدأ الحد من أنف الجبل على شاطئ الخليج ويطل على وادي طابا من الشرق، ويتمشى الحد على رؤوس تلال النقب التي تطل على العقبة إلى المفرق، لأن هذا الحد وحده يضمن سلامة العقبة من الوجهة الحربية، أما المفرق نفسه وآبار مايين وعين قديس وعين الجديرات وعين القصيمة تكون لسيناء(٤). والأودية في منطقة الحدود، مثلها في ذلك كالحال في بقية أنحاء سيناء، تمر الطرق

(١) محمد صبري محسوب، مرجع سابق، ص ص ١٠٦-١٠٨.

(٢) أحمد إسماعيل علي، موارد المياه في شبه جزيرة سيناء، رسائل جغرافية، كلية الآداب، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، العدد ١٠٠، سنة ١٩٨٧، ص١٣.

(٣) جمال حمدان، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٥٣.

(٤) محمد إبراهيم الديب، مرجع سابق، ص ١٣١.

عبرها أو تسير معها، وخلالها تسيل الأنهار وتتفجر العيون وينبت حواليها وفي قلبها العشب والشجر، وتقوم فيها مساكن البدو ومزارعهم ومراعي إبلهم وأغنامهم، ويبقى السيل في الأودية بضع ساعات بعد انتهاء المطر ثم يجف، وتظهر في بعض الأودية ينابيع ماء أو آباراً دائمة أو مؤقتة [١].

وللدلالة على أن كمية مياه السيول ليست بالقليلة فإن المعلومات المتوافرة عن السيول الخاصة بسد الروافعة يشير إلى أن هناك كمية ضخمة من مياه الامطار تضيع سدى، ففي أحد السنوات بلغت كمية المياه المسجلة عند سد الروافعة نحو ٢١مليون م^{٣}، تم تخزين ٣ مليون م^{٣} وتم إمرار ١٨ مليون م^{٣}فوق عتبة السد [٢]، وهي كمية كبيرة مقارنة بسعة خزان سد الروافعة والمقدرة بنحو ٣ مليون م^{٣}، وهذه السعة تسمح بزراعة ٤٠٠ فدان ري مستديم[٣].

ومن الممكن أن يتم وضع خطة للإستفادة من مياه السيول بصورة أفضل، خاصة وأن معدل تكرار وحدوث السيول أضحى كبير، وبفارق زمني سنوي ليس بالطويل أو البعيد، ففي الفترة الأخيرة يمكن الحديث عن السيول بفارق زمني ثلاث سنوات على الأكثر، فهناك سيل ١٩٨٧، ١٩٨٨، ١٩٩٠، ١٩٩٤، ١٩٩٧، ٢٠٠٠، وسجلت كمية الأمطار المتساقطة على رأس النقب نحو ٤٥مم، وهي كمية كبيرة مقارنة بكمية المطر السنوي لرأس النقب البالغ ٢٩,٢ مم[٤].

وللدلالة على مدى أهمية وخطورة الأمطار التي تسقط محدثة سيولاً في وادي الجرافي، أن أقصى كمية أمطار سقطت في يوم واحد قدرت بنحو ٧٣ مليون م^{٣}،

(١) نعوم شقير، مرجع سابق، ص ٥٨.

(٢) أحمد إسماعيل علي، مرجع سابق، ص ٢٧، ص ٣٥.

(٣) طارق زكريا إبراهيم سالم، مرجع سابق، ص ٣٢٤.

(٤) المرجع السابق،، ص ص ٣٢٦-٣٢٧.

وأقصى كمية سيول متوقعة في يوم واحد كانت ٤٠ مليون م^{٣}، وأقل كمية سيول قدرت بنحو ٣ مليون م^{٣}[١].

ولو أمكن استلهام النموذج النبطي في الزراعة، لتحولت منطقة الحد لواحة زراعية ومنطقة من أفضل مناطق الزراعة ليس في سيناء فقط، ولكن في مصر كذلك، خاصة وأنها تصلح لزراعة الكثير من المحاصيل الشحرية مثل الخوخ، الموالح، التفاح، الكمثرى، المشمش، الخوخ، التين، اللوز، الزيتون، الرمان، العنب، الجوافة، المانجو، الفستق، المشمش، وخاصة أن المنطقة تمثل بيئة مناسبة للزراعة، فهذه المحاصيل تحتاج لكي تنمو نمواً مثالياً لدرجات حرارة لا تقل عن ١٥ °م ولا تزيد عن ٣٨ °م[٢].

٤- التربة والنبات الطبيعي

كان تسمية المصريين القدماء لسيناء باسم بلاد الجدب والعراء، أو كما أتت تسميتها باسم حوريب أي الخراب في التوراة، أبلغ وصف لطبيعة البلاد، ولولا القليل من الأمطار التي تنتابها في فصل الشتاء، فتعد بعض بقاعها للزراعة وتترك في أوديتها القليل من العيون والآبار وأنواع الشجر والعشب الذي ترعاه الإبل والأغنام لما رأيت فيها أثراً للحياة[٣].

التربة نبت البيئة الطبيعية للمنطقة التي تتواجد فيها، وعلى هذا الأساس من المتوقع أن تكون تربة المنطقة الحدية تربة فقيرة إلا فيما ندر. وقد نتجت التربة هنا بفعل عوامل التجوية الميكيانية أساسًا، والتربة الحقيقية لا تتمثل إلا حينما يرتفع المحتوى المائي على السطح خاصة في منطقة السهول الشمالية، وفي المناطق الجبلية يقل سمكة التربة بسبب عمليات التجوية والتعرية الناتجة في أغلبها عن

(١) نفسه، ص ٢٦.

(٢) رمزي إبراهيم راشد، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٣) نعوم شقير، مرجع سابق، ص ٤٤.

السيول، كما تقل بها نسبة الأملاح، ويقل محتواها المائي، ومثل أي تربة صحراوية، تحتاج التربة هنا للماء لكي تصبح صالحة للزراعة [١].

ويمكن تصنيف تربة المنطقة الحدية إلى نحو ثمانية أصناف تتمثل في: تربة رملية ساحلية، تربة رملية داخلية، تربة ملحية، تربة تشبه اللويس، تربة هوائية، تربة رملية مختلطة، تربة حصوية، تربة المنحدرات الجبلية[٢].

ويمكن تناول أهم التربات الموجودة بمنطقة الحد فيما يلي[٣]:

التربة الرملية الساحلية: تمتد مسافة تتراوح بين ٣-١٠كم من ساحل البحر المتوسط لاتجاه الجنوب وهي أجود أراضي منطقة الحد، وتحتاج فقط للمياه لزراعة الأشجار المثمرة كأشجار الزيتون وكثير من المحاصيل والخضروات وغيرها.

التربة التي تشبه اللويس: وتقع إلى الجنوب الشرقي من التربة السابقة، وتشغل جزءاً كبيراً من منطقة الحد وتكثر بها التكوينات الطينية، والغرين والرمال الناعمة والخشنة. ومن السهل التوسع في زراعة هذه التربة لسهولة الحصول على الماء من الأمطار أو من المياه تحت السطحية، ويرزع بها القمح والشعير والذرة.

تربة الكثبان الرملية: وهي أكثر أنواع التربة انتشاراً، وتمتد من جنوب التربة الملحية، ويصل عرضها لأكثر من سبعة كيلومترات خاصة بالاتجاه نحو الغرب، وهي تربة هيكلية تفتقر إلى المواد العضوية وتتشابه هذه التربة مع التربة الرملية المحيطة بالتربة الفيضية بوادي العريش.

تربة فيضية: وتتمثل هذه التربة في أودية وروافد وادي العريش أساساً، وبعض الروافد والأودية التي تمثل المرتفعات في منطقة الحد منطقة تقسيم للمياه لها

---

(١) محمد صبري محسوب، ص ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) رمزي إبراهيم راشد، المحاصيل الشجرية في مركز رفح، المجلة الجغرافية العربية، العدد ٤٢، السنة ٣٥، ٢٠٠٣، الجزء الثاني، ص ٦٧.

(٣) أنظر محمد صبري محسوب، مرجع سابق، ص ص ١٢٨-١٤٦، رمزي إبراهيم راشد، مرجع سابق، ص ٦٥-٦٧.

نحو وادي العريش غرباً ووادي الجرافي شرقاً. وتتميز هذه التربة بأنها تربة ثقيلة، تتكون من الطين والغرين وتتحول في بعض المناطق إلى تربة مختلطة.

التربة الحصوية: تتمثل في الكثبان الرملية والسطوح الحصوية وتغطي أجزاءاً واسعة من المناطق الداخلية قرب هضبة التيه، ويصعب استغلالها في الزراعة إلا حيثما تقل الحصي فتزرع أشجار الزيتون والنخيل.

تربة المناطق الجبلية: يقل سمك التربات في المناطق المرتفعة على السفوح شديدة الإنحدار، وذلك بسبب عمليات التجوية والنحت بفعل المسيلات المائية، وعادة ما تكون التربة هنا إن وجدت موضعية في نشأتها مشتقة أساساً من الصخور، وتظهر عليها كثير من النباتات وذلك حيث تتوافر المياه من السيول والمياه الجوفية.

وتعتبر تربة القطاع الشمالي من منطقة الحد هي أفضل وأجود تربة وأراضي منطقة الحد، ويتمثل ذلك في مركز رفح، حيث تعد أراضيه أجود أراضي محافظة شمال سيناء قاطبة، ناهيك عن منطقة الحد نفسه، ويرجع ذلك لوفرة مياه الري عن طريق الأمطار والآبار، ولجودة معطم أراضيها نظراً لتكوينات التربة بها من تربة رملية، وتربة فيضية بالأودية القريبة من وادي العريش وروافده، وتربة الشبيهه باللويس، والتربة الحصوية[١].

أما **النبات الطبيعي**؛ فتتميز سيناء بغناها الشديد بالأنواع النباتية فيقدر أن بها أكثر من ٥٢٧ نوعاص من النباتات، ربعها على الأقل لا يظهر في أي جزء آخر من مصر حيث تجمع في نباتها عناصر من كلتا القارتين آسيا وأفريقيا، ونبات سيناء يعكس ارتباطات ايكولوجية بيئية بمناطق جغرافية مجاورة[٢]، ويتنوع النبات الطبيعي بين أشجار وأنجم وأعشاب البرية، ويتمثل النبات الطبيعي في منطقة الحد فيما يلي:

الشجر البري وأهم أنواعه[٣]؛ الطرفاء، السيال، السدر، الأثل والبطم.

---

(١) رمزي إبراهيم راشد، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٢) محمد صبري محسوب، مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٣) نعوم شقير، مرجع سابق، ص ص ٩٦-٩٧.

الأنجم البرية[١]، ترعاها الأبل والأغنام ومن أشهرها؛ الرتم، والعدام، والقطف، والمتنان.

الأعشاب البرية[٢]، مثل الشيح، والقيصوم، اللصف، الحمض، العاذر، الحرجل، الحنظل، الغرقد والسيسب.

ومن الممكن أن تمثل هذه الأنواع العديدة من النبات الطبيعي، رصيد جيد يمكن أن يبنى عليه العديد من الأنشطة الإقتصادية ليس في منطقة الحد فقط، ولكن في كل شبه الجزيرة، خاصة وأن كثير من أنواع النباتات هذه تستخدم كمواد طبية، يمكن أن تدخل في العديد من الصناعات الطبية، كمواد خام لها، كما أنه يمكن أن يتم استزراع النباتات التي تتغذى عليها الأغنام والإبل، كي تكون مراعي طبيعية للثروة الحيوانية التي يملكها سكان وقبائل منطقة الحد، وتمثل ثروة اقتصادية تدر الكثير من الأرباح عليهم.

ثانياً: الملامح الجغرافية البشرية لمنطقة الحد:

سوف يتم التعرف على السكان والقبائل المنتشرة بمنطقة الحد، وحركة تلك القبائل، الوزن السكاني لمنطقة الحد، ثم دراسة النشاط الاقتصادي لسكان منطقة الحد.

سكان منطقة الحد:

لقد دلت الآثار التي خلفها الفراعنة في سيناء أن سكان شبه جزيرة سيناء كانوا منذ بدء التاريخ من أصل سامي كسكان سوريا وكانوا يتكلمون لغة غير لغة المصريين، وقد عُرفوا على الآثار باسم "هيروشاتيو" أي أسياد الرمال، وعرف سكان بلاد الطور خاصة باسم "مونيتو" وعُرفوا في التوراة عند مرور بني إسرائيل في شبه جزيرة سيناء "بالعمالقة"، وفي القرن السادس الميلادي عُرف سكان الجزيرة باسم "الأعراب بنو إسماعيل"، ومع فتح العرب لمصر في أوائل القرن السابع الميلادي

---

(١) المرجع سابق، ص ٩٧.

(٢) نعوم شقير، مرجع سابق، ص ص ٩٧-٩٨.

تغلبت القبائل العربية على سكان الجزيرة وسادوها، وأقدم القبائل الأصلية التي لا زالت موجودة بشبه الجزيرة سيناء هي الحماضة، التبنة، المواطرة في بلاد الطور، والبدارة في جبال العجمة من بلاد التيه [١].

وسيناء من الناحية البشرية حلقة اتصال بين شبه جزيرة العرب والشام ووادي النيل، وكانت القبائل الرعوية حتى وقت قريب تتجول بحرية في هذا الإقليم المتسع، ونظراً لقلة الأمطار والمظهر الصحراوي فإنها لم تكف أهلها مطلقاً، فكانوا في حركة دائمة وراء الكلأ والرعي[٢].

وحيث يقسم النسابة العرب إلى عرب عاربة وهم عرب اليمن أو القحطانية، وعرب مستعربة وهم عرب الحجاز أو العدنية وهم من ولد إسماعيل، فإن شبه الجزيرة لم تقتصر على فرع دون الآخر، بل إنها قد استقبلت الثنائية العربية من العرب العاربة والعرب المستعربة. فالعرب العاربة ممثلة في قبائل لخم وغسان والأنباط، والقبائل القحطانية ممثلة في جهينة وبلىّ وهما من قضاعة، وقبائل من جزام وبني واصل، أما عن القبائل المستعربة فهي تتمثل في ربيعة التي تفرع منها بنو عطية وقبائل سيناء، مثل التياها والترابين واللحيوات ومعازة وعنازة[٣].

وهذه الهجرات لم تتوقف على طول تاريخ مصر، وإن كان قوة أو ضعف هذه الهجرات يتوقف عادة على قوة أو ضعف مصر الوادي والدلتا ذاتها. وأكثر الهجرات تأثيراً في جزيرة سيناء هي هجرة القبائل الكنعانية، وهي تلك القبائل التي استقرت في بلاد فلسطين وسواحل سوريا وحول سواحل خليج العقبة، بالإضافة إلى الهكسوس الذين تمكنوا من أن يسيطروا على مصر ذاتها ويحكموها لقرابة قرن ونصف القرن[٤].

---

(١) نعوم شقير، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٢) عبده مباشر، سيناء الموقع والتاريخ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨، ص ١٣.

(٣) المرجع السابق، ص ص ١٣-١٤.

(٤) عباس عمار، المدخل الشرقي لمصر، أهيمة شبة جزيرة سيناء كطريق للمواصلات ومعبر للموجابت البشرية، القاهرة، ١٩٤٦، ص ٩٣.

ومن مراسلات تل العمارنة التي تعود بتاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، يتضح أن المصريين كانوا يطلقون على جميع السواحل السورية لفظة كنعان، والعهد القديم كذلك يشير إلى "أرض كنعان" في مختلف أسفاره فتارة يطلقها أحياناً على الساحل الشامي إلى حدود مصر،وأحياناً يضيف إليها القسم الجبلي وغور الأردن، وأحياناً يطلق اسم أرض كنعان على سكان الجبال والسهول ومنطقة بئر السبع الواقعة في جنوبي البلاد والتي كانت تعرف باسم "النجب" بمعنى الأرض الجافة(١).

هذا ولم يقتصر تأثر شبه جزيرة سيناء بالهجرات السامية فقط، بل تعرضت لبعض الهجرات غير السامية قادمة من البحر المتوسط، ممثلة في هجرات البلست (الفلست) وهؤلاء سكنوا الساحل الشرقي الواقع جنوب غربي فلسطين، وكونوا لهم قوة امتدت حوالي القرن الثاين عشر قبل الميلاد إلى سواحل شمال شرق سيناء، وكذلك الإيجيون الذين نزلوا في مواطن الفلست سابقة الذكر(٢).

وسيناء كما سبق القول كانت بمثابة جسر يمر عليه الكثير من الهجرات البشرية النازحة من الشرق إلى الغرب، وكثيراً ما كانت تلك الهجرات تستمر وتستقر في وادي النيل والدلتا أو في الصحراء الشرقية ما بين النيل والبحر الأحمر، حتى أن المصريين كانوا يسمون الجبل الشرقي الذي يحد النيل في الشرق جبل العرب أو بلاد العرب(٣).

وإذا ما أخذنا بتقسيم العرب كما يذهب النسابة إلى عرب بائدة وعرب باقية فإن سيناء ومنطقة الحد تكون قد استقبلت كلا الهجرتين بامتياز، ذلك لأنه في التاريخ القديم على عهد الفراعنة والأشوريين والفينيقيين كانوا يريدون بالعرب أهل البادية في

(١) مصطفى مراد الدباغ، مرجع سابق، ص ٣٩٢.

(٢) عباس عمار، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٣) جورجي زيدان، العرب قبل الإسلام، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٢٢، ص٣١.

القسم الشمالي من جزيرة العرب وشرقي وادي النيل في البقعة الممتدة بين الفرات في الشرق والنيل في الغرب ويدخل فيها بداية العراق والشام وشبه جزيرة سيناء وما يتصل بها من شرق الدلتا والبادية الشرقية بمصر بين النيل والبحر الأحمر، وكان وادي النيل هو الفاصل الطبيعي بين ليبيا في الغرب وبلاد العرب في الشرق، وكان المصريون يسمون الجبل الشرقي الذي يحد النيل في الشرق جبل العرب أو بلاد العرب[١].

وعلى هذا فإن جزيرة سيناء ومنطقة الحد كان أول سكانها من القبائل السامية العربية التي ملأت منطقة الجزيرة العربية وانتشرت بها، وكان سكانها في بادئ الأمر من القبائل العربية البائدة.

ومن بقايا العرب العاربة، أو البائدة، دولة الأنباط التي ظهرت في جنوب فلسطين وحول خليج العقبة، واستطاعت في القرن الثاني قبل الميلاد أن تمد سلطانها ليشمل شبه جزيرة سيناء، ووقعت في قبضة الرومان في بداية القرن الثاني الميلادي[٢]. وقد تأثرت سيناء بقبائل قضاعة الحميرية أكثر ما تأثرت بهذه القبائل، ومن بطونها قبائل بلى، وقد كانت منازل بلى تمتد إلى تبوك شمالاً ثم إلى جبال الشراه ثم إلى معان، ثم متراجعاً إلى أيلة إلى المغار إلى الداروم، قرب غزة، ثم إلى الجفار غرباً إلى الفرما من حدود مصر، لتشمل شمال الحجاز وأرض سيناء إلى خليج السويس[٣].

ومن بطون القبائل الكهلانية، الغساسنة الذين انتشروا على حدود سيناء الشرقية، وكان الروم يتخذونهم بمثابة حاجز بين ممتلكاتهم في الشام والقبائل العربية الأخرى في بلاد الحجاز وباديتها[٤]، ومن هذا التاريخ تقريباً أي نحو القرن الأول قبل الميلادي بدأت القبائل العربية الحميرية والإسماعيلية في التحرك نحو الشام ونحو

(١) جورجي زيدان، مرجع سابق، ص ٣١.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٣.

(٣) عباس عمار، مرجع سابق، ص ٩٩.

(٤) المرجع السابق، ص ص ٩٩-١٠١.

سيناء، ومع الفتح الإسلامي كان لتلك القبائل دوراً رائداً في عملية الفتح والتمكين والتيسير له، فقد كانت لغتهم واحدة، كانوا بمثابة المترجم، والمرشد الأمين لحاملي راية الجهاد والفتح الإسلامي في البلاد التي قاموا بفتحها سواء في الشام أو العراق أو مصر.

وكان لتلك القبائل دوراً كبيراً في الفتح الإسلامي لمصر، فقد كانوا أداة استغلها الجيش الإسلامي في التعرف على مسالك ودروب البلاد، وهي بالطبع لم تكن مألوفة لجيش حديث العهد على البلاد، ولكنها بالنسبة للعرب الساكنين البلاد سهلة ويسيرة.

والجدير بالذكر أن بعض القبائل العربية التي كانت تسكن شبه الجزيرة قد تنصرت، فقد كانت قبائل غسان نصرانية، وكذلك الأمر مع قبائل لخم، وقد كان نصارى العرب هؤلاء يسكنون أرض الجفار شمال سيناء، وكان منهم حكام تنيس نفسها، وكانت الحصون التي يعيش فيها هؤلاء العرب مثل رفح، العريش، الورادة والبقارة يؤدون المال عنها للمقوقس ملك مصر[1]. (الخرائط رقم ٤، ٥، ٦، ٧)

وكان من الطبيعي نتيجة لتقدم الجيوش الإسلامية، وما تبعها من قبائل عربية مسلمة أن تتراجع تلك القبائل النصرانية وتحاول الخروج من أرض المرور هذه، لتخرج إلى بادية الشام، معتقدة أنها بمنجى، ولكن يبدوا أن سير التاريخ والأحداث دهمها، وكان من الطبيعي أن تنضم إلى ركب رسالة الإسلام وتساهم في الفتوحات الإسلامية كغيرها من قبائل الجزيرة.

وفي تقاليد بدو سيناء أن هناك نحو ٧٥ قبيلة قد هاجرت من نجد والحجاز في سنة واحدة فسكنوا مصر وسيناء وجنوب فلسطين، على أن القبائل التي

(1) نفسه، ص ١٠٣.

سكنت سيناء لم تثبت فيها كلها بل هاجر منهم إلى مصر أو سوريا بعد أن أقاموا فيها مدة وضعف الباقون أو انقرضوا كلهم(١).

مع الفتح العربي كانت قبائل جذام ولخم وبلى وكثير من القبائل القرشية هي أبرز الهجرات العربية التي عبرت سيناء مع الفتح الإسلامي، ومع الأمويين والعباسيين كانت هجرة قيس عيلان وهجرة أولاد الكنز من ربيعة، ثم تراجعت وفود القبائل في عهد الدولة الطولونية، نظراً لعدم تحمل القبائل العربية لحكم أحمد بن طولون، ومع أيام الفاطميين بدأ خلفاء الدولة الفاطمية يستعينون ببعض القبائل العربية مثل قيس من بني سليم وبني هلال وسنبس إحدى بطون طئ، وقد هجرها الفاطميون من سيناء إلى أعمال البحيرة، وفي عهد الدولة الأيوبية كانت قبائل جرم وثعلبة تعيش في سيناء وعلى حدودها وقد تحالفت مع الصليبيين ضد الناصر صلاح الدين، فلما انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين اضطر قبائل كثيرة من ثعلبة إلى أن تهاجر إلى مصر وكذلك قبيلة جرم عبرت سيناء وسكنت الحوف الشرقي(٢).

ومع حكم المماليك في القرن الثالث عشر بدأ يطرأ تغير على مركز سيناء، فبعد أن كانت مجرد قنطرة للعبور منذ الفتح العربي الإسلامي للبلاد، بدأت مع المماليك أن تكون مقر للقبائل العربية ويرجع ذلك إلى حالة العداء التي سادت بين القبائل العربية والمماليك، ففضلت القبائل العربية الخروج والاستقرار في شبه جزيرة سيناء، وكذلك مع استعادة الطرق البرية عبر سيناء أهميتها مرة أخرى مع عودة طريق الحج وتحوله عن الصحراء الشرقية وميناء عيذاب وموانئ البحر الأحمر إلى طريق الوسط عبر سيناء، ذلك الطريق الذي افتتحته شجرة الدر بحجها عبره وتسيير الظاهر بيبرس قافلة منذ عام ١٢٦٧، فبدأ الطريق يجذب القبائل العربية، خاصة وأن خفارة هذا الطريق كانت تنهض على عاتق تلك القبائل، وكان الطريق يقسم إلى دركات وكل

(١) نعوم شقير، مرجع سابق، ص ١١١.

(٢) عباس عمار، مرجع سابق، ص ص ١٠٦-١٠٩.

قبيلة تشرف وتؤمن مسافة دركها[١]، كما أن الصراع الحربي وظهور الخطر المغولي التتاري والصليبي قد جعل من سيناء ساحة للصراع وجعل طرقها مطروقة بشكل كبير خاصة في ظل الدولتين الأيوبية والمملوكية.

وقد طرأ العديد من التغييرات على توزيع القبائل العربية في سيناء ففي القرن الثامن الميلادي كانت قبائل ثعلبة والعايد تهيمن على منطقة الحد بشكل تام ناهيك عن تواجدها في فلسطين إلى الشرق، وبالقرب منها تتواجد قبائل بنو صخر وبنو عقبة حول خليج العقبة، ومع القرن الثالث عشر اندفعت قبائل ثعلبة والعايد لتسيطر على شبه جزيرة سيناء من أقصى الشرق لأقصى الغرب، الأولى تحتل القسم الشمالي من شبه الجزيرة والثانية تحتل القسم الأوسط، فكانت بذلك تسيطر على طريق الحج، ودفع كلاهما قبائل جذام وقيس عيلان نحو الغرب ليستوطنا الجهات الشرقية من الدلتا[٢].

وفي الوقت الحالي يمكن تقسيم سكان منطقة الحد إلى ثلاثة أقسام القسم الأول يضم قبائل السواركة، الرميلات، والترابين، والقسم الأوسط يضم قبيلة التياها، والقسم الجنوبي يضم قبيلة الحيوات[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص ص ١١٠-١١١.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٦.

(٣) أنظر، عباس عمار، مرجع سابق، ص ١٣٧، صبري العدل، سيناء في التاريخ الحديث، ١٨٦٩-١٩١٧، مصر النهضة (٥٧) دار الكتب المصرية، ٢٠٠٤، ص ٢٦٥.

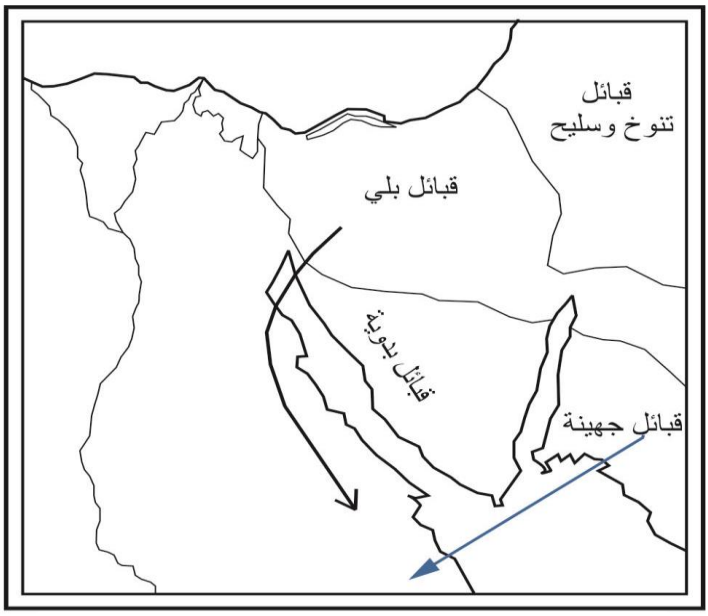

المصدر: عباس عمار: المدخل الشرقي لمصر.

شكل رقم ٤ الموجات الاولى للعرب الجنوبيين (حمير) القرن الاول الميلادي

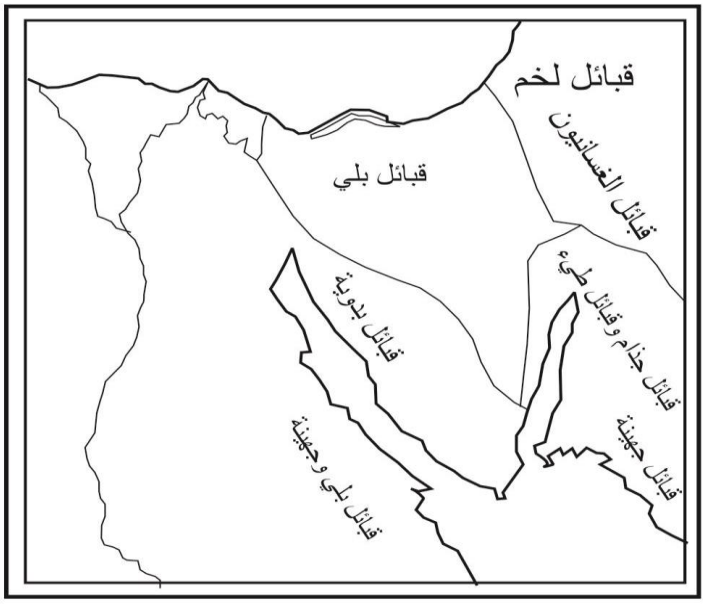

المصدر: عباس عمار: المدخل الشرقي لمصر.

شكل رقم ٥ الموجة الأولى لبني كهلان في القرنين الثاني والثالث الميلادي

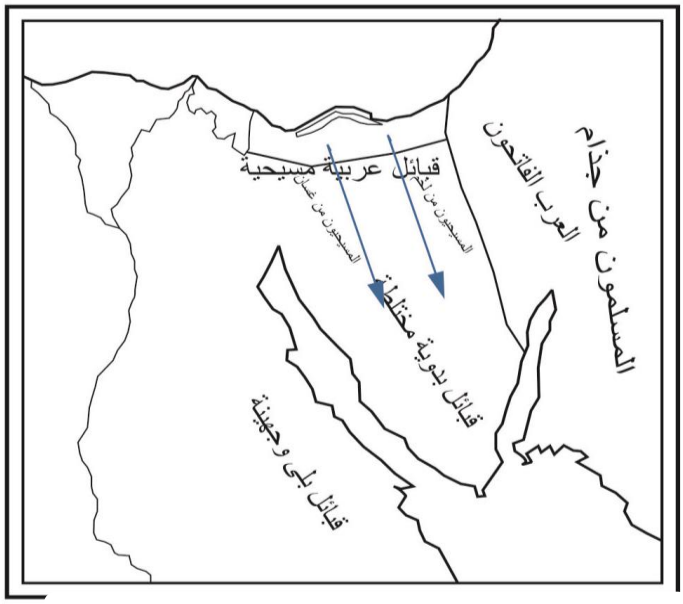

المصدر: عباس عمار: المدخل الشرقي لمصر.

شكل رقم ٦ توزيع القبائل العربية قبل الفتح الإسلامى لمصر

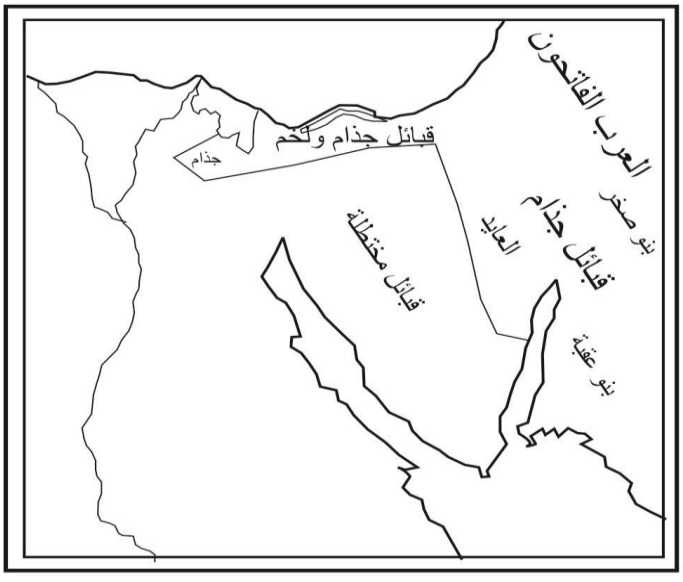

المصدر: عباس عمار: المدخل الشرقى لمصر.

شكل رقم ٧ توزيع القبائل العربية عقب الفتح الإسلامي لمصر

وبالنسبة لقبائل القسم الأول من الأقسام الثلاثة لسكان منطقة الحد، والممثلة في قبائل السواركة والرميلات والترابين، وتسكن الرميلات المسافة الواقعة ما بين رفح والشيخ زويد وأهم فروع الرميلات هي "البسوم، الشرطيين، العوايدة، السنَنة، العجالين". بينما يسكن السواركة ما بين خط الحدود شرقا وبير العبد غرباً، ورجم القبلين جنوباً والبحر المتوسط شمالاً، وهم أكثر قبائل سيناء عدداً، وأهم فروع السواركة "العرادات، الدُّهيمات، الجريرات، المحافيظ، الفلافلة، والخناصرة"[١].

وقد كانت قبائل السواركة أكثر امتداداً وانتشاراً في منطقة الحد مما هي عليه الآن، فقد كانت تمتد تقريباً على طول خط الحدود، ولكن نتيجة لصراعها مع قبائل الترابين والتياها تقصلت مناطق نفوذها لصالح قبائل الترابين والتياها[٢].

والمشهور عند السواركة أنهم من ذرية سيدنا عكاشة الصحابي المشهور، ويعيش جميع قبائل السواركة في سيناء فيما عدا الرفايعة فإنهم يعيشون في فلسطين، والمنايعة فإنهم قسمان قسم تابع لحكومة مصر وآخر تابع لحكومة فلسطين في بئر السبع[٣]. وإلى الجنوب من قبائل السواركة والرميلات توجد قبائل الترابين، ويشير بعض النسابة إلى أن قبائل الترابين تعود إلى بني عطية، الذين كانوا يسكنون حوالي خليج العقبة، وأنهم الوحيدات والحويطات واللحيوات يعودون إلى نفس الأصل[٤]. ومن أهم فروع الترابين الحررة، الحسابلة، الشبيتات، ومن أهم مراكز الترابين الجورة، البرث، المقضبة، وادي عمر، جبل الراحة، الجفجافة، وعلى الجانب الآخر من الحد في غزة وبئر سبع[٥].

---

(١) نعوم شقير، مرجع سابق، ص ص ١٢٠-١٢١.

(٢) صبري العدل، مرجع سابق، ص ٢٦٧.

(٣) عارف العارف، تاريخ بئر سبع، طبعة مكتبة مدبولي، ١٩٩٩، ص ص ١٤٨-١٤٩.

(٤) نعوم شقير، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٥) أنظر نعوم شقير، مرجع سابق، ص ١١٧، صبري العدل، مرجع سابق، ص ص ٢٦٧-٢٦٨.

أما القسم الأوسط من خط الحدود فتتواجد به قبائل التياها، وقبائل التياها هي أقدم من سكن بلاد التيه، ولهذا سميت بهذا الاسم، ويوجد لها امتداد كذلك في جنوب سوريا، ومن أهم فروع التياها الصقيرات، البنيات، الشتيات، القديرات، والبريكات، ويعود البعض بنسب التياها إلى الأوس والخزرج أي من الأزد من بني زيد بن كهلان من القحطانيين، وجدهم سالم التيهي وهو من الخزرج، واستوطنوا سيناء مع خروجهم من الحجاز مع الفتوحات الإسلامية(١).

أما عن قبائل القسم الثالث الجنوبي من خط الحدود فتتواجد به قبال اللحيوات أو الأحيوات، وفروعها "النجمات، الخناطلة، الكساسبة، السلاميين، الغُريقانيين، المُطُور، الكرادمة، الحمدات، الصفايحة، الخواطرة، الخلايفة، ويعود اللحيوات نسبهم إلى قبيلة بني عطية، ويسكنون شرقي التياها، ويمتدون من مطلة نخل الشرقية إلى وادي العربة شرقاً وغرباً، ومن جبل الأحيقبة شمالاً إلى خليج العقبة جنوباً، وقد أخرج خط الحدود على النحو المبين الخلايفة القاطنين وادي عربة من إدارة سيناء وألحقهم بإدارة العقبة(٢).

وقد كانت حركة التجارة تتواتر عبر طرق سيناء المختلفة في الشمال والوسط بين الشام والحجاز وما جاورها من بلاد إلى مصر، وكانت قبائل سيناء تجني الكثير من الأرباح، كما كان لهم حق نقل وحماية الحجاج عبر دركات درب الحج، سواء الحجاج المسلمون القادمون من مصر والقارة الأفريقية، أو الحجاج النصارى الراغبين في زيارة الأماكن المقدسة بسيناء، يضاف إلى هذا أن بدو سيناء كانوا يجدون في اشجارها مورد لهم، حيث كانوا يقطعون الأشجار ومن أخشابها يحصلون على الفحم

(١) أنظر نعوم شقير، مرجع سابق، ص ١١٦، وصبري العدل، مرجع سابق، ص ٢٦٨.
(٢) نعوم شقير، مرجع سابق، ص ص ١١٨-١١٩.

النباتي الذي كان سلعة يتاجرون فيها ويستبدلونها بالحبوب في أسواق السويس، وكان الفحم النباتي أهم ما ينتجه بدو سيناء[١].

ويؤكد هذا على أن السياحة وحركة السياح في سيناء كانت واحدة من أهم مصادر دخل البدو والقبائل القائمة بتأمين ورعاية تلك السياحة، ناهيك عن عمليات السرقة والسطو التي كان يتعرض لها بعض هؤلاء السياح، وهو أحد المواقف التي تعرض لها المهندس لينان دي بلفون الذي أرسله محمد علي لسيناء، وقد تعرض للسرقة بعد أن انتشرت شائعة وفاة محمد علي وهو ما يؤكد على أن محمد علي تمكن من ضبط إيقاع الأمن والاستقرار في سيناء خلال فترة قصيرة، خاصة في ظل اتخاذها كطريق لنقل بعض استحكاماته العسكرية لمحاربة دولة آل سعود في الإحساء.

أما الآن في الوقت الحاضر فإن تلك الثلاثية قد انقضت ولم يعد لها وجود البتة، فلم يعد هناك طرق للقوافل بين مصر وجيرانها، بعد قيام الكيان الصهيوني على الأرض الفلسطينية السليبة، ولم يعد هناك طريق للقافلة الحج، وإن وجد فإنه قد أضحى طرق حديثة ووسائل نقل حديثة، لا دخل للبدو فيها، كما قل مجيء الحجاج المسيحيون، وإن كان من الممكن أن يكون النشاط السياحي، إن أحسن استغلاله، وسيلة دخلة جيدة لبدو سيناء، من خلال ما يعرف بسياحة السفاري، خاصة وأنهم أدرى بشعاب وطرق سيناء.

حركة قبائل منطقة الحد:

حركة قبائل منطقة الحد خاصة، وحركة القبائل في سيناء عامة، ترتبط بالحياة النباتية التي تعتمد عليها حياة القبائل، والحياة النباتية تنهض على عاملين رئيسيين هما المطر وماء العيون؛ أما المطر، فهو الأساس الأكبر في توافر الحياة النباتية أو عدم توافرها، فالري في غالب مناطق شبه الجزيرة يعتمد على المطر، أما

(١) عباس عمار، مرجع سابق، ص ص ١٣٦-١٣٩.

الري الصناعي فمناطقه محدودة إن وجدت، ومقدار المطر ضئيل، كما أن سقوط المطر ذاته غير منتظم مطلقاً يسقط عاماً وينقطع أعوام، ومن هنا كانت حياة القبائل قلقة لا يمكن أن تستقر، فهم في أثناء المطر يجدون المرعى لحيواناتهم، ويستطيعوا أن يزرعوا الوديانا حبوباً ويعيشون بمحصولها، لكنهم في سنوات الجفاف لا يجدون في مناطق سكناهم ما يمكن أن يعتمدون عليه هم وحيواناتهم، لذا فيضطرون إلى الهجرة، أما ماء العيون فهي محدودة كذلك في منطقة الحد، وحواليها يمكن أن تنهض حياة استقرار نوعاً ما[١].

وقد كان الصراع على هذه الموارد من مياه آبار ومناطق غنى في سقوط الأمطار والمراعي، هو الذي أدى إلى الوضع الحالي الذي عليه توزيع القبائل في منطقة الحد ناهيك عن سيناء بأكملها.

والتوزيع الحالي لقبائل منطقة الحد عند مري يظهر أن قبيلة الترابين في فلسطين تحتل منطقة صحراء النقب في منطقة الحد، في حين يقابلها على الجانب المقابل من منطقة الحد في سيناء كل من السواركة، الرميلات، الترابين، التياها والحيوات[٢]. (الشكل رقم ٨)

وقد كان لقبيلة الترابين الفضل الأكبر فيما اصبح توزيع القبائل في منطقة الحد على ما هي عليه الآن، فقد ضغطت على قبائل السواركة والرميلات وأجلوها عن كثير من مناطق إقامتها في شمال سيناء[٣]، خاصة وأن منطقة سكن واستيطان السواركة والرميلات تعد أكثر مناطق سيناء غنى سواء في موارد المياه من تساقط الأمطار، أو العيون والآبار، ومن ثم في غنى الثروة النباتية التي هي عماد حياة البدوي.

---

(١) عباس عمار، مرجع سابق، ص ص ١٤٠-١٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٣) أنظر سيناء الموقع والتاريخ، مرجع سابق، ص ١٥، وصبري العدل، مرجع سابق، ص ٢٦٧.

وقد كان هذه الصراعات والحروب مؤشر على تراجع الأمن والاستقرار في منطقة الحد بوجه خاص وفي سيناء بوجه عام، ومن الملاحظ أن الحروب قد زادت بعد وفاة محمد علي، وذلك لأنه كان ناظم عقد أمن واستقرار سيناء، وهو الأمر الذي وضح حينما أغارت قبيلة الرتيمات عام ١٨٣٠ على أحدى القوافل التجارية القادمة من غزة وكانت محملة ببضائع كثيرة من الأقمشة الحريرية والبن والسكر والصابون، فنهبوا ما حمولتها، فقام الجيش المصري بتجريدة عليهم أوقعت منهم قتلى عديدون، وظلت تطاردهم حتى أتى كبرائهم العريش طالبين الأمان[١].

ومما يؤسف له أنه بعد أن تم تحديد وتعيين خط الحدود بين مصر غرباً وولاية الحجاز ومتصرفية القدس شرقاً، بدأت القيود تفرض رويداً على الحركة بين منطقة الحدود، وإن كان هذا لم يفت في عضد العلاقات الأسرية بين قبائل منطقة الحدود بعضهم البعض، فإن الأشد إيلاماً هو ما كانت يتم به معاملة قبائل وسكان سيناء، فبعد الثورة العرابية والاحتلال البريطاني للبلاد، بدأت بريطانيا تتعامل مع سيناء على أنها منطقة مغلقة لمنع التنقل بين سيناء ووادي النيل إلا بتصيح تصدره السلطات البريطانية، كما عينوا عدداً من المحافظين الإنجليز الذين تعاقبوا على حكم سيناء منذ عام ١٩٠٦ حتى عام ١٩٤٦ من خلال من مصلحة الحدود، واصدرت بطاقات تحقيق شخصية خاصة بسكان سيناء كتب على غلافها الخارجي "خاصة بمنطقة سيناء المحرمة" وإقامة حواجز جمركية بالقنطرة شرق للحد من النشاط التجاري بين سيناء ومحافظات مصر الأخرى[٢].

وقد كان من المناظر المألوفة للمسافر في طريق الدرب السلطاني، عندما يقترب موسم حصاد البلح، تلك الجماعات من البدو التي تكون راجعة من فلسطين في

---

(١) نعوم شقير، مرجع سابق، ص ص ٥٠٠-٥٠١.

(٢) قدري يونس العبد، سيناء في مواجهة الممارسات الإسرائيلية، دار المعارف، ١٩٨٦، ص ص ٩٢-٩٣.

استمرار لا ينقطع، وحكومة فلسطين لا تمانع في هجرة قبائل سيناء إليها بل هي على العكس تساعدهم وتسهل لهم تلك المهمة فهم عندما يعبرون الحدود يعد عمال الحدود ما معهم من حيوانات، ثم ينتظرون بعد رجعوا بعد الرعي أخذوا منهم على الجمل ١٢ قرش وعلى الرأس ٤ قروش، فإذا لم يدفع البدوي أرسلوا في طلب شيخه فإن امتنع خاطبوا في ذلك الحكومة المصرية، وكانت هذه الضريبة مفهومة من قبل الحكومة الفلسطينية، لكن ما هو غير مفهوم أن يفرض على تلك القبائل ضريبة من قبل الحكومة المصرية عند عبورهم لقناة السويس، حيث كان يؤخذ منهم جنيه إذا عبر القناة وقام البدوي ببيعه، أما إذا لم يبعيه فيؤخذ منه ضريبة ٣٠ قرش[١].

وقد كان هذا التزمت مفروضاً من قبل الحكومة البريطانية، لتأكيد عملية الفصل بين مصر الوادي والدلتا وسيناء، وقد كان محافظي الإنجليز وعلى رأسهم بالمر محافظين على تلك السياسة، ومن أسف أن الحكومات المصرية قد ورثت تلك السياسة ولا زالت موجودة حتى الآن، وأصبحت سيناء من مشاكل الأمن الحقيقية في مصر الآن، بل إن التعامل معها لا يختلف مع تعامل الهند مع منطقة كشمير، ناهيك عن وضعها الأمني بعد معاهدة كامب ديفيد، وكونها محظورة بشكل كبير على سكان الوادي الدلتا، ولا زال سكان سيناء يعانون من التهميش، ولا يزالون يطالبون بأن يتم معاملتهم معاملة المواطنين، فهم مصريون لهم الحق في بطاقة شخصية، ولهم الحق في تملك أراضيهم ولهم الحق في كافة الحقوق التي يحصل على كل مواطن يعيش في محافظات مصر المختلفة.

هذه هي الحركة الأساسية التي كان يقوم بها سكان قبائل منطقة الحد، ولا زالت هي المتسبب الأساسي في حركة القبائل للآن، لكن بعد تعيين خط الحدود بدأت الحركة رويداً رويداً تقل أو تكون محددة وفي إطار أقل حرية، في إطار اتفاقية تعيين الحدود بين مصر وولاية الحجاز ومتصرفية القدس، ولكن هذا التعيين لم يمنع حركة

(١) عباس عمار، مرجع سابق، ص ص ١٤٦-١٤٧.

القبائل ولم يكن قيداً عليهاً، فقد كانت تتحرك ولكن في إطار قانوني إلى حد كبير، أو في إطار ما كان متعارف عليه من قبل، ولكنهم أضحوا لا ينكرون أن هناك خط حدود أضحى معروفاً وأن ما إلى الشرق بلاد وسلطة مختلفة وما إلى الغرب بلاد وسلطة مغايرة.

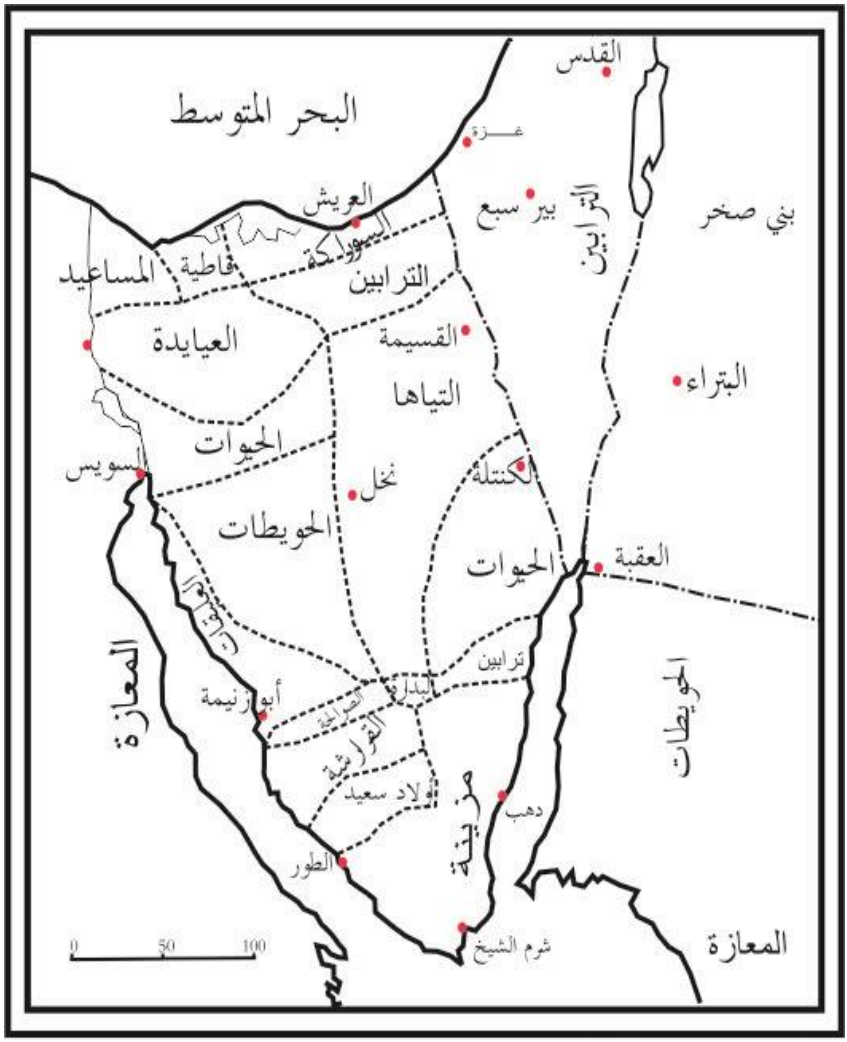

المصدر: عباس عمار، المدخل الشرقي لمصر

شكل رقم ٨

توزيع قبائل شبه جزيرة سيناء

الوزن السكاني لمنطقة الحد:

من الأمور البديهية المرتبطة بسكان المناطق الصحراوية أن عمليات التعداد وتقدير سكان تلك المناطق من الأمور الصعبة بل تكاد تكون من الأمور المستحيلة، ويرجع ذلك للعديد من الأسباب منها؛ أن الطابع الغالب على سكان المناطق الصحراوية طابع البداوة ومن ثم فالتنقل هو ديدنهم ونهجهم الحياتي والذي يكاد يكون يومي، كذلك فإن سكان المناطق الصحراوية من البدو يخشون من الحكومة ولا يثقون فيها وفي رجالها في الأغلب الأعم، وقد حاولت الحكومة المركزية خاصة منذ عهد محمد علي في التعرف على تعداد سكان شبه جزيرة سيناء، وكان محمد علي يطلب من مشايخ القبائل إجراء تعداد قبائلهم وعلى مسئوليتهم الخاصة، وقد بدأ ذلك مع محاولة محمد علي إجراء تعداد لسكان مصر في عام ١٨٤٨[١].

وقد كان مشايخ القبائل يقبلون أن يتعرضوا للسجن من أن يقوموا بإجراء إحصاء وتعداد سكان قبائلهم، فقد طلب من مشايخ القبائل عند إجراء تعداد ١٨٨٢ أن يقوموا بإمداد محافظة العريش بالمعلومات الخاصة بأعداد البدو وأعداد قبائلهم، فرفضوا ورغبوا في إعفائهم من عملية التعداد وكان السجن هو مكافأة الرفض[٢].

ويرجع هذا التشدد من جانب مشايخ القبائل إلى أن عملية التعداد ارتبطت في أذهانهم بأنه مقدمة لإدخالهم في العسكرية، وقد كانوا يرفعون عرائض إلى رجال الحكومة يتوسلون إليهم أن تُرفع يد الإحصاء عنهم وإلا رحلوا من البلاد[٣].

وطوال تعدادت مصر السكانية المتتالية كانت مشكلة تقدير سكان شبه جزيرة سيناء من الأمور الصعبة والغير دقيقة، ففي التعداد الذي أجراه محمد علي في عام ١٨٤٨ قدر سكان العريش بنحو ٢٣١١ نسمة، بينما في تعداد ١٨٦٨ قدر سكانها

(١) صبري العدل، مرجع سابق، ص ٢٧٥.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) نعوم شقير، مرجع سابق، ص ١٢٤.

بنحو ٢٢٢٢ نسمة، أي أنه أقل من التعداد السابع عليه بنحو عقدين من الزمن، ويعزى ذلك إلى أن التعداد الأول شمل بعض البطون التي لم تدرج في التعداد الثاني كبعض بطون من قبيلة السواركة وبدو المراشدة كما كان هناك بعض القبائل التي خرجت في تجارة لها إلى غزة ولم تدرج في التعداد[١].

وقدر تعداد ١٨٨٢ سكان محافظة الشرق والعريش بنحو ٣٩٢٣ نسمة، كان عدد سكان العريش الذي قدر مدنها ونواحي بمدينة واحدة، وبعدد ٤ توابع بالإضافة إلى حلة من العربان حوالي ٢٩٣٦ نسمة، في حين أن سكان منطقة الساحل وهي المنطقة التي تمثل القسم الثاني من أقسام المحافظة بالإضافة إلى العريش تضم حلة واحدة من العربان يبلغ عدد سكان ٩٨٧ نسمة[٢].

وفي تعداد ١٨٩٧ قدر سكان العريش بنحو ١٦٩٩١ نسمة[٣]. ويلاحظ أنه رقم كبير مقارنة بالرقم السابق، وهو ما يشير إلى علامات استفهام كثيرة حول رقمي التعداد الحالي والسابق، بل وعلامة استفهام أخرى حول التعداد اللاحق له.

فطبقا لتعداد ١٩٠٧ بلغ عدد سكان العريش ٥٨٩٧ نسمة، إذا ما تم إضافة سكان بلاد الطور إلى ذلك الرقم والمقدر تعدادهم بنحو ١٥١٠ نسمة[٤]، فإن إجمالي سكان شبه الجزيرة يصبح ٧٤٠٧ نسمة، يمثلون حوالي ٤٣,٥% من إجمالي تعداد السكان السابق.

لكن لو أخذنا بتقدير نعوم شقير فسوف يظهر أن أي من التعدادت السابقة لم يصل إلى الحقيقة، وأن الرجل كونه عاش فترة في شبه الجزيرة، وتمكن من اكتساب ثقة كثير من القبائل بشبه الجزيرة فإنه حصل على تقدير أقرب إلى الصحة، فيذكر البك أنه في عام ١٩٠٦ اختلف بدنتا السنتة والعجالين من الرميلات في أيهما أكبر

(١) صبري العدل، مرجع سابق، ص ٢٧٦.

(٢) وزارة المالية، تعداد السكان في القطر المصري ١٨٨٢، صفحات متعددة.

(٣) وزارة المالية، تعداد السكان في القطر المصري ١٨٩٧، صفحات متعددة.

(٤) وزارة الداخلية، تعداد السكان في القطر المصري ١٩٠٧، صفحات متعددة.

من الأخرى ليكون الشيخ منها، فأحضر كل زعيم رجلة فكان في كل بدنة نحو مائة رجل[١]، وعلى هذا تمكن نعوم بك من تقدير قبائل شبه الجزيرة.

وعلى هذا يمكن تقدير سكان منطقة الحد من خلال تقدير نعوم شقير وذلك عام ١٩٠٧ تقريباً، وهو نفس عام تعداد ١٩٠٧ كما يوضحه جدول رقم (٢):

جدول رقم ٢ يوضح تقدير سكان منطقة الحد

القبيلة	عدد السكان	القبيلة	عدد السكان
اللحيوات	٤٢٠٠	الترابين	٤٢٠٠
الترابين	٣٠٠٠	السواركة والرميلات	١٢٠٠٠

المصدر: من عمل الطالب بناءاً على بيانات نعوم شقير وتعداد ١٩٠٧.

وعلى هذا يكون إجمالي سكان منطقة الحد نحو ٢٣٤٠٠ نسمة، يمثلون نحو ٥٠% من إجمالي سكان شبه جزيرة سيناء طبقا لنعوم شقير والمقدر ٤٨٠٠٠ نسمة. ومن ثم يظهر أن هناك فارق كبير بين تقدير نعوم شقير وبين تقدير تعداد ١٩٠٧، فطبقا للتعداد الأخير فإن سكان العريش والطور ٧٤٠٧ نسمة.

ومن خلال مقارنة تعداد ١٩٠٧ بتقدير نعوم شقير نجد أن تعداد ١٩٠٧ يتوافق إلى حد كبير مع تقدير نعوم شقير فيما يخص تعداد كل من الطور والعريش، وهو ما يؤكد على أن التعداد اقتصر فقط على سكان مدينة الطور وسكان مدينة العريش وما جاورهما ، وفي الجدول رقم (٣) تظهر المقارنة بين التعداد والتقدير كما يلي:

(١) نعوم شقير، مرجع سابق، ص ١٢٥.

جدول رقم ٣ وسكان سيناء في التعداد والتقدير

تعداد ١٩٠٧		تقدير نعوم شقير	
العريش	٥٨٩٧	العريش	٥٨٥١
الطور	١٥١٠	الطور	١٣٦٣

المصدر: من عمل الطالب بناءاً على بيانات نعوم شقير وتعداد ١٩٠٧

الأمر الذي يؤكد على أن الرجل بمفرده استطاع أن يقوم بما لم تستطع أن تقوم به الحكومة بكل أجهزتها الإدارية والبيروقراطية، وقد كان الرجل من الذكاء الذي مكنه من أن يقدر سكان القبائل بشكل بسيط وسلس يقوم على حساب بدنات كل قبيلة، وكما ذكر فإن بدنة كل قبيلة تضم نحو ١٠٠ رجل، وبعملية بسيطة فإن عدد البدنات في إجمالي عددها، مع تقدير أن كل رجل يعول ثلاثة أنفس، أمكنه أن يخرج بتقدير لسكان قبائل سيناء*.

وهنا لابد من التنويه إلى تقرير البعثة الصهيونية التي أرسلها تيودر هيرتزل إلى سيناء في آخر يناير من عام ١٩٠٣، وكان غرض هذه البعثة الوقوف على إمكانية استيطان شمال سيناء ومنطقة العريش كبداية لعملية استيطان يمكن أن تتمدد لتشمل سيناء بأكملها، وكان تقدير هذه البعثة لسكان سيناء في ذلك الوقت بنحو ١٦ ألف نسمة، يعيش في العريش منهم نحو ٤ آلاف نسمة(١).

* استخدم نعوم شقير طريقتين في تقدير سكان شبه جزيرة سيناء؛ الأولى من خلال معرفة عدد بدنات كل قبيلة وأن كل بدنة يكون بها ١٠٠ رجل وحاصل ضرب عدد البدنات في عدد الرجال، ثم تقدير أن لكل رجل يعول ثلاثة فإن إجمالي كل ذلك يمثل سكان كل قبيلة، والطريقة الثانية تمثلت في معرفة حجم استهلاك القبائل من الحبوب، فمن خلال معرفة كمية الحبوب التي تستهلكها القبيلة، وتقدير أن كل فرد يستهلك نحو ثلثي أردب في العام، أمكنه التعرف على إجمالي سكان القبيلة.

(١) إبراهيم أمين غالي، سيناء المصرية عبر التاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦، ص ٢٧٣.

ومع تعداد ١٩١٧ وفي ظل الحرب العالمية الأولى تم إجراء تعداد سكان شبه جزيرة سيناء، وفيه بلغ تعداد سكان مركز سيناء البحرية ٤٣٨٥ نسمة، ومركز سيناء القبلية نحو ١٠٤٥ نسمة، بإجمالي ٥٤٣٠ نسمة[١]. أي أن تعداد سكان المناطق المستقرة كالعادة (العريش والطور) يمثل نحو ٧٥% من التعداد الفائت، وقد يعود ذلك إلى ظروف الحرب العالمية الأولى.

ومع تعداد ١٩٢٧ بدأ يظهر ارتفاع في تقدير سكان شبه الجزيرة بوجه عام، ويرجع ذلك بشكل أساسي إلى زيادة سكان المناطق الحضرية والمستقرة في شمال وجنوب الجزيرة، فقد بدأ عدد النواحي المستقرة في الزيادة ليصل إلى ٣٩ ناحية، في أقسام شبه الجزيرة الأربعة التي قسمها التعداد إليها حيث قسم شمال سيناء ويضم ١٧ ناحية، وقسم جنوب سيناء ويضم ١١ ناحية، وقسم سيناء المتوسط ويضم ٧ نواحي، وقسم القنطرة شرق ويضم ٤ نواحي[٢].

وبلغ سكان سيناء بهذا التعداد ١٥٠٥٩ نسمة، أتى قسم سيناء الشمالي في المقدمة بنحو ٩٤٧٨ نسمة، يليه قسم القنطرة شرق ٣٠٣٢ نسمة، ثم قسم سيناء الجنوبي ٢٣٨٨ نسمة وأخيراً قسم سيناء المتوسط ٢١١٧ نسمة[٣].

لتستمر الزيادة مع تعداد ١٩٣٧ ليصل سكان أقسام سيناء المختلفة ١٨٠١١ نسمة، تتوزع على أقسامها الأربع، ولا زال قسم سيناء الشمالي محافظاً على صدارته للمشهد السكاني بنحو ١١٠٩٧ نسمة، يليه قسم القنطرة شرق ٣٦١٨نسمة، ثم قسم سيناء الجنوبي ٢٤٤٩ نسمة وأخيراً قسم سيناء المتوسط ٨٤٧نسمة[٤].

وقفز السكان في تعداد ١٩٤٧ إلى ٣٧٦٧٠ نسمة، أي أكثر من ضعف سكان شبه الجزيرة في التعداد الفائت، وليس ذلك بالتأكيد راجع للزيادة الطبيعية لسكان

---

(١) وزارة الداخلية، تعداد السكان في القطر المصري ١٩١٧، صفحات متعددة.

(٢) وزارة الداخلية، تعداد السكان في القطر المصري ١٩٢٧، صفحات متعددة.

(٣) المصدر السابق.

(٤) وزارة الداخلية، تعداد السكان في القطر المصري ١٩٣٧، صفحات متعددة.

شبه الجزيرة، ولكن لتمكن جهات التعداد الحكومية من إضافة العديد من القبائل إلى نتائج تعداد سكان شبه الجزيرة. فقد بلغ سكان قسم سيناء الشمالي ١٩١٦٦ نسمة، يليه سكان قسم سيناء المتوسط ١١٦٦٨ نسمة، ثم قسم القنطرة شرق ١٣٣٨٤ نسمة، ثم قسم سيناء الجنوبي ٤٤٦٠ نسمة، وأخير القسم الخامس الجديد مركز الشط ٦٦٠ نسمة(١).

ومن الملاحظ بقوة زيادة عدد سكان قسم سيناء المتوسط، فمقارنة بالتعداد السابق فإن قسم سيناء المتوسط قد أضاف إلى سكانه نحو ١٤ مرة قدر تعداده في التعداد السابق، ولا شك أن السبب الرئيس في هذه الزيادة الضخمة تعود إلى قدرة الجهات الحكومية على تقدير سكان كثير من القبائل الموجودة في وسط سيناء.

ومع تعداد ١٩٦٠ بدأ يظهر مايسمى ببيانات تفصيلية وبيانات تجمعات سكانية، بمعنى أن التعداد ذكر بيانات تفصيلية لنحو ٤٩٧٦٩ نسمة وهي ما تمثل تعداد سكان الأقسام السبعة التي كانت تقسم إليها شبه الجزيرة في ذلك الوقت، ثم أضاف إليهم ٧٥٧٦١ نسمة تمثل سكان التجمعات البدوية وبذلك يكون مجموع إجمالي سكان شبه الجزيرة يمثل ١٢٥٥٣٠ نسمة، وهو رقم أول مرة يظهر بهذا الشكل مقارنة بأي من التعدادات السابقة، وقد يكون بداية التعداد الأقرب إلى الصحة لسكان شبه الجزيرة(٢).

وفي تعداد ١٩٦٦ وهو تعداد بالعينة، تراجع سكان شبه الجزيرة مرة أخرى إلى ٤٠٨٤٠ مقارنة بالتعداد السابق، وكذلك دون ذكر سكان التجمعات البدوية، وقد يكون هذا التراجع يعود إلى أن قسم القنطرة شرق قد تم فصله من سيناء إدارياً وأضيف إلى محافظة الإسماعيلية. وإن كان هناك بيانات تشير إلى أن سكان سيناء في تعداد

(١)وزارة الداخلية، تعداد السكان في القطر المصري ١٩٤٧، صفحات متعددة.

(٢) الجمهورية العربية المتحدة، تعداد١٩٦٠، صفحات متعددة.

١٩٦٦ قدر بنحو ١٣٢٧٨٢نسمة، تتقسم بين حضر يمثلون ٧٦٢٥٢ نسمة، وتجمعات بدوية تقدر بنحو ٥٦٥٣٠ نسمة[١].

واقتصر تعداد ١٩٧٦ على المناطق المحررة فقط، وجمعت البيانات الخاصة بسيناء من ثلاثة أقسام فقط هي قسم أبو زنيمة وقسم الشط وقسم القنطرة شرق، ويبلغ إجمالي سكان الأقسام الثلاث ٣٤٦٦ نسمة[٢]. وإن أشارت بيانات أخرى إلى أن عدد سكان سيناء طبقاً لتعداد ١٩٧٦ قدر بنحو ١٥٧١٠٤ نسمة[٣].

ومع تعداد ١٩٨٦ بدأت تظهر شبه جزيرة سيناء في إطار وضع إداري جديد من خلال تقسيمها إلى محافظتين، وذلك طبقاً للقرار الجمهوري رقم ٨٤ لسنة ١٩٧٩ الذي قسم سيناء إلى محافظة شمال سيناء ومحافظة جنوب سيناء[٤].

وقدر سكان محافظة شمال سيناء طبقا لهذا التعداد بنحو ١٧٠٨٣٥ نسمة، يتوزعون على ثلاثة أقسام وخمسة مراكز، تمثل أقسام رفح ونخل والحسنة الأهمية بالنسبة لنا، خاصة وأنها أقسام المنطقة الحدودية، وقد بلغ سكان قسم رفح ٣٤١٤٢نسمة يتوزعون على ٤٣ ناحية، في حين أن سكان قسم نخل ٤٤٥٦نسمة يتوزعون على ١٣ ناحية، وسكان قسم الحسنة ١٣٠٠٦نسمة يتوزعون على ٣٤ ناحية[٥].

في حين قدر سكان محافظة جنوب سيناء بنحو ٢٨٩٢٩ نسمة، يمثل مركز نويبع أهمية خاصة لأنه يحتوي على منفذ طابا آخر أقسام منطقة الحد، ويبلغ عدد سكان مركز نويبع ١٦٠٧نسمة يتوزعون على ١٠ نواحي[٦].

---

(١) قدري يونس العبد، مرجع سابق، ص ١٥.

(٢) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، تعداد ١٩٧٦ صفحات متعددة.

(٣) قدري يونس العبد، مرجع سابق، ص ١٥.

(٤) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، تعداد ١٩٨٦ صفحات متعددة.

(٥) المصدر السابق.

(٦) نفس المصدر.

وفي تعداد ١٩٩٦ بلغ إجمالي سكان محافظة شمال سيناء ٢٩٨٠٩٥ نسمة، وترجع الزيادة للاستقرار السياسي والأمني، والسعي الجاد من قبل القبائل للإستقرار، وقد بلغ سكان مركز رفح ٤٤٤٢٢ نسمة يمثلون ١٥% من سكان المحافظة، في حين بلغ سكان مركز الحسنة ٢٨١٠٩ نسمة يمثلون نحو ٩,٥% من سكان المحافظة، ويأتي سكان مركز نخل ١٠١٠٥ نسمة يمثلون نحو ٣,٣% من سكان المحافظة[١].

ومع تعداد ٢٠٠٦ بلغ إجمالي سكان محافظة شمال سيناء ٣٣٩٧٥٢نسمة، يمثل سكان قسم رفح ٥٧٧٥٧ نسمة يمثلون نحو ١٧% من سكان المحافظة، وقسم نخل ١٠١٤٥ نسمة يمثلون ٢,٩% من سكان المحافظة، ثم قسم القسيمة الذي ظهر على حساب قسم الحسنة ليكون المتاخم لخط الحدود، فقد بلغ عدد سكانه ٩٦٨٦ نسمة أي نحو ٢,٨% من سكان المحافظة[٢].

أما بالنسبة لسكان محافظة جنوب سيناء فقد بلغ سكانها في هذا التعداد نحو ١٤٩٣٣٥ نسمة، ومع هذا التعداد فإنه قد ظهر قسم شرطة طابا مفصولا عن قسم نويبع، وذلك نظراً لأهمية السياحية والأمنية، وقد بلغ سكان القسم ٤٦٨٠ نسمة، يمثل ٣,١% من سكان المحافظة.

النشاط الاقتصادي لسكان منطقة الحد:

الأنشطة الاقتصادية لسكان شبه جزيرة سيناء بوجه عام محدودة، ويرجع ذلك لظروف شبه جزيرة سيناء السكانية والطبيعية والتاريخية. فسيناء على طول تاريخها كانت ممر أكثر منها مقر، وكان غنى الوادي والدلتا إلى الغرب منها مغرياً لكل من ينوي المكث في شبه جزيرة سيناء، فكان الخروج من سيناء هو الهدف سواء على المدى القصير أو البعيد. ولم يستطع الكثير من القبائل الاستقرار في سيناء إلا في مناطق معينة مثل المنطقة الشمالية حيث الغني النسبي في الأمطار، وتواجد المياه

(١) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، تعداد ١٩٩٦ صفحات متعددة.

(٢) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، تعداد ٢٠٠٦ صفحات متعددة.

الجوفية، أو على طريق الدرب السلطاني حيث الطريق التجاري الرابط بين مصر والشام، أو على طول طريق الحج والقبائل التي تقوم على دركات ذلك الطريق.

كذلك لا ننسى الوضع الحربي الذي عانت منه سيناء الأمر الذي حد من الأنشطة الاقتصادية بها وحال دون توسعها وضخ الأموال فيها لظروف الصراع الحربي الذي تطور مع الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، وما تبعه من ضياع وتوقف الكثير من المشاريع الاقتصادية التي كانت تنوي الحكومات القيام بها في سيناء، ومن ذلك مشروع نقل مياه نهر النيل أسفل قناة السويس قبل حرب ١٩٦٧، والرغبة في التوسع والاستصلاح الزراعي في سيناء، وبعد حرب ١٩٧٣ بدأت تظهر محاولات تنمية سيناء ولكن عمليات التنمية تقوم على نشاط جبان وهو النشاط السياحي، الأمر الذي لا يحقق استقرار وتنمية حقيقية في سيناء، ولم تأخذ طريقها ابناء وقبائل سيناء، واقتصرت بشكل كبير على العمالة الوافدة من محافظات مصر خارج سيناء.

ولا شك أن هناك رغبة قوية من جانب العدو الإسرائيلي في الحيلولة دون استقرار الوضع في سيناء وتنميتها بشكل جدي، فعلى مدى عشرات السنين لم يتغير الوضع في سيناء على الرغم من المؤتمرات والأوراق الداعية لذلك والداعمة لذلك.

أما عن الانشطة الإقتصادية التي يمارسها سكان منطقة الحد فتتمثل في: النشاط الزراعي، نشاط الصيد، النشاط التجاري، نشاط نقل البضائع والمسافرين

(أ) النشاط الزراعي: ويرتبط هذا النشاط بمناطق تساقط الأمطار وتوافر المياه الجوفية، وهو بذلك يتركز في المنطقة الشمالية الشرقية من سيناء، أو المنطقة الشمالية من منطقة الحد، حيث مركز رفح، بشكل خاص، ويعتبر مركز رفح أعلى نسبة في مراكز محافظة شمال سيناء المأهولة بالسكان، حيث يمثل ٦,٣% من المساحة الكلية البالغ مساحتها ٥,٦كم^{٢}، وهو ما يؤكد على أن مركز رفح مركز زراعي بالدرجة الأولى[١].

(١) رمزي إبراهيم راشد، مرجع سابق، ص ٧٧.

ويتراجع هذا النشاط في منطقة الحد بمركزي الحسنة ونخل، وذلك لتراجع موارد المياه وقلتها سواء كانت أمطار أو مياه جوفية، حيث أن كل من مركزي الحسنة ونخل لا يتواجد بها أي بئر سطحي، في حين يتواجد عدد من الآبار الخاصة بالشرب والري طاقتها المتاحة تكاد تتطابق مع الطاقة الفعلية، ففي الحسنة يتواجد ٩٤ بئر للشرب والري بنسبة ١,٩% وفي نخل يوجد ٧٦ بئر بنسبة ١,٦% من إجمالي عدد الآبار بمحافظة شمال سيناء البالغ عددها ٤٨٧١[١]. الأمر الذي يحد كثيرا من إمكانية قيام نشاط زراعي مستقر في منطقة الحدود بهذين المركزين.

وقد سعت الكثير من القبائل خاصة المقيمة في العريش وإلى الشرق منها إلى إمتلاك الأراضي الواقعة فيما بين العريش ورفح وذلك نظراً لخصوبتها وتوافر موارد المياه بها، سواء كانت مياه جوفية أو مياه أمطار، وكثيرا ما ينشأ الكثير من النزاعات بين القبائل على تلك الأراضي، وذلك لأنها في الغالب أراضي وضع يد وليس هنا حجج ملكية تستند إليها القبائل في الإدعاء بتملكها[٢].

(ب) نشاط الصيد:

وهذا النشاط يتمثل في نشاطين ثانويين، صيد الأسماك وصيد السمان؛ أما صيد الأسماك فهو يرتبط بالساحل ويتركز هنا في الجزء الشمالي من منطقة الحد حيث منطقة شاطئ رفح، ويمارس الصيد هنا من قبل أناس ممتهنين حرفة الصيد وراثة عن أجدادهم وأبائهم، وآخرين اضطرتهم الحياة لامتهان مهنة الصيد.

وقد كانت كميات كبيرة من الأسماك التي يتم صيدها يتم تصديرها إلى ميناء يافا حيث يعد أقرب موانى الشام، ويلاحظ أنه لم يكن فقط سكان منطقة الحد هم الذين يمارسون عملية الصيد في مصايد البحر المتوسط، ولكن كانت السفن تأتي من يافا وساحل الشام للصيد في مياه البحر المتوسط شمال سيناء،[٣].

---

(١) المرجع السابق، ٨٣.

(٢) صبري العدل، مرجع سابق، ص ٢٤٩.

(٣) صبري العدل، مرجع سابق، ص ص ٢٤١-٢٤٢.

أما صيد السمان فهو نشاط موسمي قصير بين أواخر أغسطس ومنتصف أكتوبر يرتبط بمجئ طيور السمان من موطنها في سهل القمح في جنوب الروسيا ورومانيا والمجر، ويقوم السكان بصيد الطائر عن طريق الشِباك والفخاخ، ويقدر أنه كان يتم صيد ما بين ٢٠٠٠٠-٥٠٠٠٠ طائر، ولم يحصل الصائد على الكثير، فقد كان يبيع الزوج بقرش تقريباً، في حين كان المشتري يحصل على الربح الكبير من خلال تصدير تلك الطيور إلى ميناء بورسعيد ومنها إلى موانئ ومدن البحر المتوسط مثل مرسيليا، جنوة، أثينا، فينسيا، وأحياناً يصل إلى لندن(١).

(ج) النشاط التجاري:

كان هذا النوع من النشاط الاقتصادي متقدماً في أوقات تاريخية سابقة، وذلك نظراً لما كانت تمثله منطقة الحدود وشبه جزيرة سيناء من أهمية كونها منطقة التقاء تجاري وتبادل تجاري بين بلاد الشام والعراق وبلاد الحجاز، وكثيراً ما قامت أمم في السابق على ذلك النشاط التجاري فقط مثل دولة الأنباط.

ولكن في التاريخ الحديث فإن أهمية هذا النشاط بالنسبة لسكان منطقة الحد قد قل أثرها بالنسبة لهم، ويرجع ذلك لتراجع دور النقل البري بين أقاليم المنطقة، ناهيك عن رغبة الحكومات المركزية في السيطرة على النشاط التجاري وعدم تركه في أيدي سكانها فيناوئنها الصراع المالي والتجاري والاقتصادي.

وأكثر ما كان يتم الإتجار به هو الإبل والأغنام والفيروز التي كان أهل سيناء يقايضونها بالحبوب والأقمشة التي يتم شراؤها من مدن القناة والدلتا أو من غزة ومدن الشام القريبة منهم، بينما كانت الحجاز مركزاً مهماً لتجارة الإبل والأغنام والخيل بالنسبة لسكان سيناء. ولا شك أن تجارة الماشية كانت أهم تجارة في شبه جزيرة سيناء نظراً للإهتمام الشديد للسكان بتربية الجمال والماعز والأغنام، نظراً لأن كل القضايا المهمة في حياة البدو تتم بالإبل، فدية القتيل ومهر الزوجة يدفع بالإبل، وكانت تجارة

(١) المرجع السابق، ص ص ٢٤٦-٢٤٧.

الماشية بين سيناء ووادي النيل مزدهرة بشكل كبير قبل افتتاح قناة السويس، ولكن حجم التجارة هذه قل بعد بشكل كبير بعد افتتاح القناة، وانخفض عدد الحيوانات العابرة للقناة بهدف التجارة(١).

وقد ظلت التجارة قائمة بين سكان منطقة الحد خاصة، وسكان شبه جزيرة سيناء بوجه عام، في العصر الحديث حتى بدأت المشكلة اليهودية في الظهور، وإنشاء وطن قومي لليهودي في فلسطين العربية اغتصاباً، ومن ثم بدأت المشاكل تتفاقم، وبدأت الحرية التي كانت ممنوحة لقبائل منطقة الحد تتراجع رويداً رويداً حتى أغلقت الحدود مع حرب ١٩٤٨، والتعامل مع الوجود اليهودي كوجود استعماري أدى إلى قطع العلاقات بين القبائل بعضهم البعض عبر الحدود، وإن عاد ذلك مرة أخرى في ظل الاحتلال الإسرائيلي لشبه جزيرة سيناء، وتقسيم سيناء لأقاليم خضع فيها شمال سيناء لإدارة قطاع غزة، ولكن عانى التجار كثيراً من فرض الضرائب الباهظة من قبل الاحتلال الإسرائيلي(٢).

وبعد إقرار اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدات السلام بين مصر وإسرائيل كان من المقرر أن يكون هناك مرات آمنة بين سيناء وقطاع غزة وبينها وبين إسرائيل، ولكن من الواضح أن الممرات بين مصر وإسرائيل هي الممرات المفتوحة دائماً خاصة ممر إيلات، في حين أن الممرات التي توجد بين مصر وقطاع غزة مغلقة لظروف أمنية معظم الوقت.

(د) نشاط نقل البضائع والمسافرين:

كان ذلك النشاط أحد أهم الأنشطة التي يقوم بها قبائل سيناء، وكان ذلك النشاط رائجاً خاصة حينما كانت سيناء معبراً لقافلة الحج، فقد كانت القبائل تشرف على دركات ذلك الطريق كلٌ حسب المنطقة التي يسيطر عليها.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٥٨.

(٢) أنظر قدري يونس العبد، مرجع سابق، ص ص ٧٥-٨٠.

فقد كان موسم الحج موسم يسر لسكان سيناء توزع عليهم فيه الأقشمة والحبوب، فوق ما كان يصرف لهم من مرتبات مقابل حماية الطريق وحراسة الحجاج، بالإضافة إلى الحجاج المسيحيون الذين كانوا يفدوا لزيارة الاماكن المقدسمة في سيناء في جبل موسى وسانت كاترين(١).

ولا شك أن ما قام به محمد علي من التحكم في تحديد أجور النقل، وعدم تركها لجشع التجار، قد أتى متأخراً إذ إن قبائل شبه جزيرة سيناء في عهد محمد علي كانت قد فقدت كثيراً من نشاطها الخاص بنقل التجارة والمسافرين، خاصة مع تحول طريق الحج رويداً رويداً نحو طريق البحر الأحمر، وأصبح البحر الأحمر الطريق الرسمي لقافلة الحج مع عام ١٨٩٦ مع عهد الخديوي عباس حلمي الثاني، وبدأ نقل المحمل وكل ما يلزم لولاية الحجاز عن طريق البحر، ووافق الخديوي على ذلك لما فيه من التيسير على الحجيج وتقليلاً للنفقات وتوفيراً للوقت والجهد(٢).

كما أن سياسات الاحتلال الإنجليزي الساعية لفرض عزلة بين سيناء والوادي قد أتت ثمارها من خلال تعامل القبائل السيناوية العابرة لقناة السويس على أنهم أجانب يدفعون جمركاً مقابل عبورهم القناة في القنطرة شرق، تماماً كما كانوا يتعاملون عند عبورهم للحدود مع فلسطين.

ولا يمكن إنكار أن هناك أنواعاً من الأنشطة المحرمة حالياً منها تجارة المخدِرات وتجارة السلاح وتجارة البشر، تعد هذه الأنواع من التجارة وغيرها من الأنشطة المحرمة من الوسائل التي يعتمد عليها بعض الخارجين عن القانون في منطقة الحدود خاصة وسيناء بوجه عام، ولاشك أن تلك الأنواع الثلاث من التجارة

(١) عباس عمار، مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٢) محمد باشا صادق، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٨٩٦، ص ٣٧.

الغير قانونية تدر دخلاً كبيراً على أصحابها، الأمر الذي يجعلهم يجازفون ويخاطرون بحياتهم مقابل إتمام تلك الصفقات المربحة الخطيرة في آن واحد.

ومما لا شك فيه أن ملامح الجغرافية البشرية لمنطقة الحد هي نتيجة كبيرة لملامحه الجغرافية الطبيعية، وهي إنعكاس لهذه الطبيعة الصعبة التي حاول سكانها أن يكون لهم كلمة عليها، وأن يتعايشون معها بقدر الإمكان، وأن يتنقلوا من منطقة لأخرى حسب مدى ما توفره تلك البيئة من معيشة كافية لإقامتهم إلى حد ما.

لكن على ما يبدو أن سيناء عامة، ومنطقة الحد بصفة خاصة بحاجة ماسة إلى إعادة نظر، وعلى ما يبدو أن مقادير سكان سيناء ألا يهنأوا بوطنهم، فهم إما معزولون لظروف الزمن وتأخر مصر الحضاري وعدم قدرتها على ضم سيناء وسكانها في الإطار الحضاري لبقية البلاد، أو لظروف الحرب والصراع بين مصر والكيان الصهيوني، ثم أخيراً لظروف الحرب على الإرهاب، والمثير في الأمر أن الجيش المصري والصهيوني يتشاركان في هذه الحرب على أرض سيناء، فبعد أن كانت أرض مواجهة بين الطرفين في السابق، أضحت أرض معركة مشتركة ضد عدو مشترك من وجهة نظر إسرائيل.